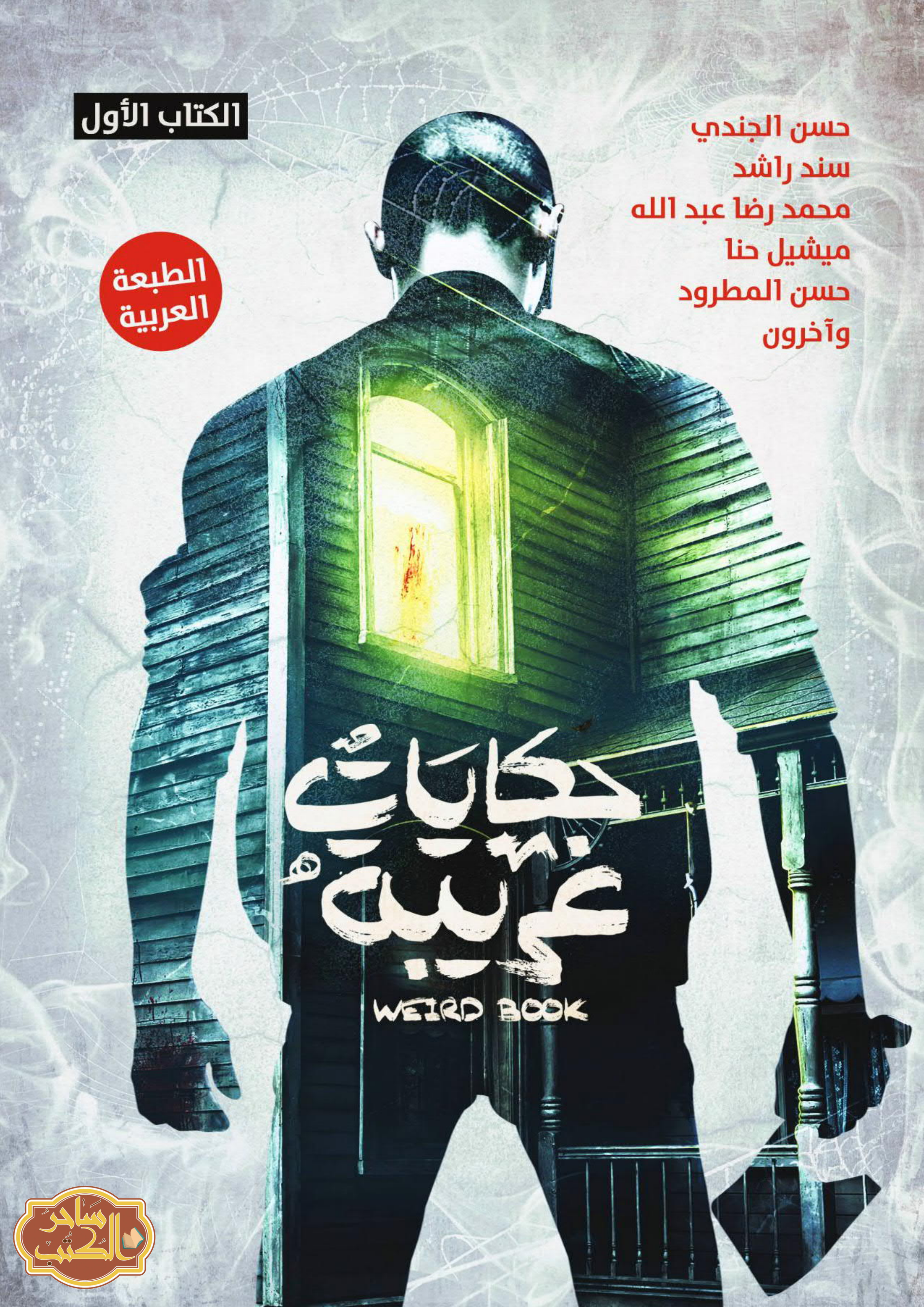


الكتاب الأول
حسن الجندي
سند راشد
محمد رضا عبد الله
ميشيل حنا
حسن المطرود
وآخرون
الطبعة العربية
حكايات غريبة
WEIRD BOOK
ساحر الكتب

عالم من الغرابة ينتظرك!

يُعد الأدب الغرائبي (وهو نوع الأدب الذي يقدم قصصًا يربطها عنصر الغرابة) واحدًا من أكثر أنواع الأدب إثارة لخيال المتابع والقارئ على حد سواء...

فمنذ الأزل كانت القصص الغريبة تستحوذ على مساحة جيدة من الأدب؛ سواء على الشكل السردي أو المقروء...

ومن الممكن اعتبار كاتب الرعب الأشهر (إدغار ألن بو) أول مَن قدّم هذا الأدب بشكله الحديث، ليتبعه عدد كبير من الكُتاب الذين قدّموا قصصًا أكثر غرابة، منهم (برام ستوكر) برائعته (دراكولا)، و(ماتيورين)، و(بكفورد)، و(ان رادكليف)، وغيرهم الكثير...

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومع سهولة الطباعة راحت تنهمر المجلات والمطبوعات التي تتناول قصص الأدب الغرائبي، وتقدّمه للقراء، سواء عبر مجموعة من القصص المتسلسلة أو القصص الكاملة مثل Amazing Stories وWorlds of Fantasy and Horror و Weird menace و Weird Tales ، وتعد الأخيرة واحدة من أعرق المجلات في الأدب الغرائبي ...

وظهر في هذه المرحلة مجموعة من أشهر كُتاب هذا

المجال الذين راحوا ينشرون قصصهم بكثافة في هذه المجلات التي راحت تلقى رواجًا كبيرًا...

ابتداءً من الكاتب الكبير المخيف H. P. Lovecraft وانتهاء بكاتب الرعب الأشهر حول العالم (ستفين كينج)، مرورًا بكل من (روبرت إي هوارد) و (Seabury Quinn) وغيرهم الكثير...

وبدأ هذا النوع من القصص يحقق نجاحًا كبيرًا جدًّا على المستوى التجاري والأدبي..

وطبعًا مع اختراع السينما والتلفزيون أوحت هذه الأعمال المثيرة لإنتاج عدد من المسلسلات التي أخذت بعض هذه القصص، وقدمتها في حلقات منفصلة، منها المسلسل الشهير The Twilight Zone و Tales of Tomorrow و The Weird Circle و Dimension X و Amazing Stories وانتهاء بمسلسل (نيتفلكس) الشهير Black mirror ...

هذا ناهيك عن عشرات الأفلام الكبيرة التي راحت تتناول هذا الجانب من المتعة والغموض...

ويُعد الكتاب الذي بين يديك النسخة العربية (الرسمية) من هذه المجموعة العريقة من الكتب والمجلات، والتي تقدم لكم -بتصريح خاص جدًّا- مجموعة من قصص الأدب

الغرائبي المترجمة؛ الكلاسيكية منها جنبًا إلى جنب مع الحديثة، بالإضافة إلى قصص أصلية من أشهر كُتاب الوطن العربي المختصين بهذا النوع من الأدب...

فتعالوا معنا في رحلة ممتعة...

تنقلك من عالم الواقع إلى الخيال..

ومن الحقائق المخيفة...

إلى المغامرات الغريبة...

ومن أرض...

إلى أرض...

لنعيش واحدة من أغرب التجارب...

في عالم من الحكايات...

حكايات غريبة!

محمد رضا عبد الله

لا تترك شيئًا خلفك!



(محمد رضا عبد الله) كاتب مصري، بدأ حياته الأدبية بكتابة سلسلة روايات (حالات خاصة) التي تقدم رعبًا نفسيًّا عالي المستوى من منظور طبيب نفسي يمرّ بتجارب غريبة...

تتميز أفكار (محمد رضا) بالغرابة دائمًا، وأنها غير مستهلَكة، كما تقدم ثيمات جديدة لم تتطرق لها بقية الروايات العربية...

له الكثير من الأعمال الروائية التي نالت شهرة فائقة.. أشهرها (منظف الجرائم)، و(المهنة: ميت)، و(كيف تقتل زوجتك دون أن تجرح مشاعرها؟)، و(من أين أتى هذا الولد؟) و(كفر النساء) ...

يقدم لنا اليوم قصة قصيرة غريبة تتحدث عن مدرس قرّر أن يكسر واحدة من أهم القواعد...

وهي ألا ينسى شيئا خلفة!

1

«لا تقلق أبدًا.. سيكون ابنك متفوقًا في مادة اللغة الإنجليزية بفضل الله ثم مجهودي.. وسيحصل على أعلى الدرجات.. وسوف يتحدث مثل الإنجليز أنفسهم».

هكذا أقول هذه الجملة المعتادة لأولياء أمور التلاميذ والطلبة..

نعم، أعمل مدرس لغة إنجليزية..

لست موظفًا في مدرسة حكومية! أعمل مدرسًا حرًّا مستقلًّا!

أشرح لجميع الفئات العمرية.. من رياض الأطفال حتى المرحلة الجامعية وما بعدها.

دروس خصوصية.. تدريس في مراكز تعليمية.. محاضرات في قاعات أو أندية.. لا يهم الزمان ولا المكان ولا سن المتلقي.. أشرح للجميع حسب الطلب!

مررتُ بكل ما يخص شرح هذه اللغة الجميلة! ويمكنني بفخر أن أقول: إني أستطيع تدريس أي منهج يخص اللغة الإنجليزية.

أقضي يومي بين شرح الأزمنة والمبني للمجهول وقاعدة

If و... إلخ إلخ.

بالإضافة إلى المحادثات والترجمة و... إلخ إلخ.

أعشق مهنتي وأربح منها كثيرًا، وليس عندي أي مشكلة..

إلَّا مشكلة واحدة فقط..

سأخبركم بها..

***

عادةً أتنقَّل بين المنازل لإعطاء الدروس الخصوصية.. وأحيانًا أستأجر مكانًا مناسبًا لو كان عدد الطلاب كبيرًا..

أختار المكان المناسب لجيبي (لا أحب أن أدفع إيجارًا مرتفعًا)، والمناسب لطلابي (مكان قريب من منازلهم)، والمناسب لي (يُفضَّل أن يكون قريبًا من منزلي لتوفير الوقت والمال).

المشكلة بدأت عندما اخترت هذه الشقة لأعطي فيها دروسًا في اللغة الإنجليزية..

أعجبني السعر جدًّا، وبخاصَّةٍ مع اتساع المكان.. وتعجبت أن صاحب الشقة يعرضها للإيجار بهذا السعر المعقول!

وفرح جدًّا عندما علم أني أستأجر الشقة من أجل التدريس

فقط وأن الدروس ستكون نهارية ولن يبيت أحد في الشقة!

لم أكُن أعلم وقتها أنه قد وافق على إتمام هذه الصفقة من أجل هذه المعلومة فقط! يبدو أنه كان حريصًا على سلامتي على الرغم من كل شيء!

كانت صفقة جيِّدة.. شقة كبيرة تتسع لحوالي 100 طالب في مكان جيد بوسط البلد.. وسعرها خرافي!

ظننت أن صاحب الشقة غبيّ ليعرضها للإيجار بهذا الثمن الزهيد!

لكني علمت بعد ذلك خطئي وأدركت مَن الغبي الحقيقي!

الغبي هو الذي يستأجر مكانًا دون أن يسأل عنه.. ودون أن يعلم السر الرهيب الخاص به!

***

2

طبعًا لم أخبر صاحب الشقة أني فرحت بهذا السعر! بل تظاهرت أمامه أن السعر غالٍ.. بل تماديث وطلبتُ أن يقلل المبلغ.. فوعدني أنه سيفكر في الأمر!

أما أنا فكنت راضيًا تمام الرضا عن هذا المبلغ.. بل فكرت أن أستغلَّ هذه الشقة في المستقبل لتكون عش الزوجية الذي سيجمعني بحبيبة قلبي «هالة» مؤقتًا حتى تُجهَّز شقتي!

و...

بدأت الدروس في الشقة..

وفوجئت بأعداد التلاميذ تزداد.. وشُهرتي بدأت تزداد في المنطقة..

طبعت مذكرات كثيرة جدًّا لشرح المادة للصفوف التي كنت أشرح لها!

كانت المذكرات وسيلة لتبسيط المادة للتلاميذ، وفي الوقت نفسه مادة دعائية لي..

كنت أسمع عن ألقاب للمدرسين مثل «حوت الكيمياء» و«إمبراطور الفيزياء» و«غول الفلسفة».. وهم مدرسون أطلقوا على أنفسهم هذه الألقاب ليزدادوا شهرةً في سوق

الدروس الخصوصية.. فكرت أن أطلق على نفسي لقبًا مثلهم.. سأختار أن أكون «مارد اللغة الإنجليزية»..

وطبعت اللقب على كل المذكرات.. وأسفله رقم هاتفي لسرعة التواصل..

ودعوت الله أن يكون هذا اللقب علامة تجارية شهيرة في الدروس الخصوصية في المستقبل!

الأمور تسير بطريقة طبيعية..

لنقُل: إنها كانت تسير بطريقة أفضل من الطبيعية..

حتى جاء اليوم الذي لا يمكن نسيانه.. اليوم الذي حدث فيه الأمر الجلل!

ما الأمر الجلل؟

سأخبركم.. لقد نسيت قلمًا جافًّا!

قد تتعجبون وتضحكون.. لكنها الحقيقة المُرة المرعبة؛ فنسياني قلمي الجاف كان بداية سلسلة من الحوادث التي لا يمكن تخيُّلها أو توقُّعها أو.. تخطر على عقل بشر!

***

نسيت أن أخبركم أمرًا مهمًّا قبل هذا..

عندما تسلَّمتُ الشقة من صاحبها أول مرة، سألني بجدية:

- هل أنت متأكد أنك لن تبيت بها؟

أجبته بهدوء:

- نعم.. متأكد.

سألني بجدية أكثر وبنظرات غامضة:

- ألا يمكن أن تضطرك الظروف للمبيت بها؟

أجبت بكل بساطة الدنيا وبمنتهى حُسن النية:

- لا.. اطمئن من هذه الناحية.. لن أبيت بها أبدًا؛ فمنزلي قريب من هنا.. فحتى لو أهلكني التعب فسوف أعود إلى منزلي لأرتاح.. لن أرتاح هنا أبدًا.. حتى لو غلبني النوم...

قاطعني قائلًا:

- لا.. لا تنَم هنا أبدًا، ولا تسمح للنوم أن يغلبك أو يداعب جفونك.

قلت له بابتسامة ودودٍ تغلبها السذاجة حاملة قدرًا من المزاح:

- اطمئن.. لو غلبني النوم سيوقظني التلاميذ حتمًا.

قال بشك:

- ربما تنام بعد مغادرتهم!

مستمرًّا في محاولة بث الطمأنينة في قلبه قلتُ:

- اطمئن.. أنا أغادر معهم.. بالتأكيد بيتي مريح في النوم أكثر من هنا.. الشقة خالية تمامًا كما ترى.. سأفرشها بالمقاعد وأضع السبورة هنا.. لا أظن أن المقاعد أفضل من سريري من أجل النوم، ولن أنام طبعًا على السبورة!

لم يضحك على دعابتي.. لا يهم!

لقد كانت دعابة ثقيلة على أي حال! سألته باهتمام:

- حسنًا.. لماذا تشدِّد على مسألة عدم المبيت في الشقة، وكأنك ستضع ذلك شرطًا في العقد؟

غمغم قائلًا:

- ليتني أستطيع أن أفعل ذلك.

كررت سؤالي:

- لماذا؟ لماذا لا تريد مني المبيت في هذه الشقة؟ هل تنوي تأجيرها لأحد غيري ليلًا؟

قلتها مداعبًا إياه، لكنه لم يبتسم.. ليس أول ولا آخر واحد لا يبتسم لدعاباتي! قال لي بمنتهى الحزم:

- هناك شرط آخر غير «عدم المبيت في الشقة»!

قلتُ مازحًا:

- هل ستطلب مني عدم جلب بائعات هوى إلى الشقة؟! هذا كثيرٌ يا رجل!

لم يبتسم كعادته.. خشيتُ ألا يفهم أنها دعابة.. قلت بجدية:

- اطمئن.. أنا رجل تربوي.. على خُلق.

لم يبتسم لدعابتي! وتجاهل التعليق عليها حتى! وكأنه فطن إلى كونها دعابة.. لكن يبدو أنني لم أفطن إلى كونها دعابة سمجة.. قال بمنتهى الحزم:

- الشرط هو: إياك أن تترك شيئًا قبل خروجك من هنا.

كنت أظن أن هذا الشرط أو هذه النصيحة غرضها الحفاظ على مقتنياتي وأشيائي.. وأن ترك أشياء في الشقة يجعلها عرضة للسرقة ليلًا؛ فربما يأتي لصوص إلى هذه الشقة الخاوية إلا من المقاعد.. ويستغلون فرصة أنها خالية من البشر ويبحثون عن أي شيء لسرقته.. وطبعًا سيلعنون حظهم السيئ لأنهم لن يسرقوا المقاعد بالطبع.. وحتى لو سرقوها وباعوها فإنها لا تستحق عناء سرقتها وحملها!

لذا، ستكون الأشياء التي أتركها سهوًا أكثر قيمة.. طبعًا هو

لا يقصد علبة الطباشير أو الأقلام الجاف.. بالتأكيد يقصد الأشياء الثمينة.. أو هذا ما ظننته!

قلت بمنتهى الجدية:

- اطمئن.. لن أترك أي شيء خلفي.

نظر إليّ بعمق وقال مشددًا على كلماته:

- لا تترك أي شيء على الإطلاق.. أي شيء.. أي شيء!

لكني نسيت هذه النصيحة.. أو لنقُل: إني لم أهتم بها..

وحدث ما حدث.. وتركت شيئًا خلفي داخل الشقة..

لقد نسيت قلمًا جافًّا..

وكانت هذه هي بداية الطامة الكبرى!

***

كنت أهتم بالشقة جدًا.. ليالي كثيرة كنت أنظفها بنفسي بعد خروج التلاميذ والطلاب وقبل خروجي منها.. لكني نسيت القلم في إحدى الليالي المرهقة.. التي تركت فيها الشقة دون كنس أو تنظيف.

في صباح اليوم التالي، ذهبت إلى الشقة قبل موعد أول درس؛ حتى لا يراني التلاميذ وأنا أكنس الشقة فتضيع مني

هيبتي أمامهم! وطبعًا لن أستأجر خادمة لتنظيف المكان! فأنا أحتاج إلى كل قرش أكسبه من الدروس لأستكمل تجهيز شقتي والزواج!

وبينما كنت أكنس أسفل المقاعد، لمحتُ شيئًا مثيرًا.

3

كان قلمًا غريب الشكل.

سأحاول، قدرَ المستطاع، أن أصفه لكم..

القلم كان على شكل قرن ثور صغير.. الغطاء على شكل ناب أسد! للأسف قد يقلِّل الوصف من غرابة شكله! لا بُدَّ أن تراه بنفسك لتفهم ما أعنيه وتشعر بما شعرتُ به لدى رؤيته!

نزعتُ الغطاء العجيب، فوجدت سنَّ القلم مدببةً بطريقة حادَّة مخيفة.. كأنها سن إبرة محقن! حتى الحبر الذي بداخله، سائل لونه أحمر كالدم.

حاولتُ الكتابة به على إحدى الكراسات فلم يكتب! على الرغم من أن الأنبوب يبدو ممتلئًا بالحبر؛ فالقلم كان شفافًا.. يمكنني رؤية ما بداخله.. لم يكُن أنبوب حبر على وجه الدقة.. بل كان الحبر كله يملأ القلم من الداخل.. وكأنه أنبوب مختبر على شكل قرن ثور صغير.. صنعوا له سنًّا مدببة ليكون قلمًا!

رأيت أقلامًا جافة كثيرة عجيبة على مدى حياتي، وبخاصَّةٍ أن مهنتي تتعلَّق بالتصحيح والتحضير والكتابة الكثيرة؛ لذا يمكنني القول: إنني اشتريت مئات الأقلام وتلقيت عشرات الأقلام هدايا من التلاميذ أو أولياء أمورهم.

هناك الأقلام الحالمة والأقلام الطفوليّة والأقلام المرعبة.. مثل ذلك القلم الذي كان على شكل هيكل عظمي! وأقلام أخرى أكثر غرابةً في الشكل.

لكن هذا القلم الذي وجدته في ذلك اليوم كان أغرب منها جميعًا، حتى إن لم يُوحِ بذلك!

تُرى.. مَن ذلك التلميذ الذي ترك قلمه سهوًا، أو متعمدًا؟

سألت جميع التلاميذ والطلاب.. ولم يجبني أحدهم بأنه قلمه.

قلم من هذا؟

لا أحد!

من أين أتى هذا القلم؟!

وظلّ السؤال بلا إجابة!

وضعتُ القلم بجوار أقلامي في حقيبتي.. وغدًا سوف يأتي صاحبه ليسأل عنه بالتأكيد! هذه الأقلام المميزة تعرف طريقها جيدًا لأصحابها!

ولا فائدة من القلم بالنسبة لي؛ فهو قلم لا يستطيع الكتابة.. قلم بلا قيمة! ولا يغريني شكله الغريب للاحتفاظ به ضمن

مقتنياتي الأثريَّة! ربما أفكر في التخلُّص منه إذا لم أجد له صاحبًا!

لكن..

في يوم آخر.. نسيتُ شيئًا آخر..

شيئًا أكثر أهمية..

***

لقد نسيتُ سلسلة مفاتيحي بالداخل..

كان موقفًا سخيفًا وطريفًا في الوقت نفسه!

كنتُ أتحدث مع أحد التلاميذ عند باب الشقة وانهمكت في شرح القاعدة له.. وعندما انتهيت وذهب التلميذ إلى منزله، اكتشفت أنني أقف أمام عتبة الباب الذي أغلقه الهواء ولم أنتبه لذلك إلا بعد فوات الأوان!

حقيبتي في يدي والمفاتيح بالداخل!

الحمد لله أني لم أترك الحقيبة أيضًا! ستقولون: «وماذا لو أنك نسيتها بالداخل؟ إن المفاتيح أهم من الحقيبة!».. حسنًا، أنتم مخطئون.. وستعرفون السبب لاحقًا!

فكرتُ في الاتصال بصاحب الشقة.. ربما كان معه مفتاح

للشقة.

لكنَّ الوقت قد تأخر.. سأذهب إلى منزل والدي الآن وأبيت هناك.. لا أحتاج إلى المفاتيح في شيء ضروري سوى مفتاح شقتي، ويبدو أنني لن أبيت بها الليلة!

في الصباح، ذهبت إلى صاحب الشقة وطلبت منه أن يفتح لي الشقة:

- لقد نسيت مفاتيحي بالداخل.

وبدلًا من تهدئتي.. صاح فيَّ غاضبًا:

- ألم أطلب منك ألا تترك أي شيء في الشقة؟!

تعجبتُ من صياحه وغضبه الشديد وقلت محاولًا تهدئة أعصابه:

- لا تقلق.. إنها مفاتيح فقط! لا أظن أنها ستكون مطمعًا للصوص.. ولو أن اللصوص سرقوها أو نسخوها فسأضطر آسفًا إلى تغيير أكثر من «كالون» في أكثر من مكان وتنتهي المشكلة!

خرج معي وقد جلب المفتاح معه وصاح يقول:

- أنت لا تفهم شيئًا! أنت لا تعلم شيئًا!

وانطلق يسبقني إلى مكان الشقة وكأنَّ المفاتيح المفقودة تخصه لا تخصني.. فتح لي الشقة فذهبت إلى المكان الذي أعتقد أني تركت المفاتيح فيه، بينما ذهب هو في مكان آخر داخل الشقة.. ربما ليساعدني في البحث عن مفاتيحي!

فقلت لأريحه من البحث:

- لقد وجدتُ المفاتيح.

لكنه ظلَّ يبحث أسفل المقاعد..

ربما لم يسمعني ذلك الرجل العجوز!

كررت جملتي وقلت بصوت أعلى:

- لقد وجدت مفاتيحي.. أشكرك.. لقد أنقذتني.

لكنه استمر في البحث والتنقيب.. أنا متأكد أنه سمعني على الرغم من كل شيء.. أنا متأكد أن مَن يسير بالشارع قد سمع صوتي أيضًا.

وفجأة توقَّف عن البحث.. يبدو أنه قد وجد ضالته.. فسألته:

- عمَّ كنت تبحث؟!

أجابني وقد بدا الكذب في لهجته:

- لا شيء.

وهمَّ بالانصراف.. وقبل أن يخرج من الشقة عاد إليَّ وكأنَّه تذكَّر شيئًا.. لوَّح بيده في وجهي مهددًا ومنذرًا ومحذرًا:

- لا تترك شيئًا خلفك.

ثم أردف:

- أبدًا.

ثم أعاد الكلمة بلهجة مخيفة:

- أبدًا.

- ما هذا؟!

قلتُها مندهشًا.. فانتبه في تلك اللحظة إلى أنني أرى بوضوح ما وجده تحت المقاعد.. فتجاهل سؤالي عن هذا الشيء ووضعه بسرعة في جيب بنطلونه وانصرف على الفور!

لكني كنت قد أمعنت النظر جيدًا في هذا الشيء..

لقد كان سلسلة مفاتيح غريبة الشكل.. لم أرَ مثلها أبدًا من قبلُ!

من أين أتت هذه المفاتيح؟!

ومَن صاحبها؟!

مَن الذي دخل الشقة ليلًا بعد خروجي منها؟!

***

4

كانت سبورة الدرس من الطراز القديم قبل أن يخترعوا الأقلام والسبورة الذكية وكل هذه الوسائل والاختراعات..

كنت أعتمد على علبة طباشير.. أضعها دائمًا في جيبي.. والسبورة كانت خشبيَّة مطلية بدهان أسود..

كنت أنظِّف الشقة باستمرار.. أما السبورة فكنت أنظفها كل ليلة.. لا أترك عليها كتابة أبدًا قبل خروجي من الشقة! هوس نظافة.. ربما.

عندما طلب مني صاحب الشقة ألَّا أترك شيئًا خلفي، لم أكُن أعلم أن الكتابة على السبورة من قائمة هذه الأشياء.

نظرت إلى السبورة بعد خروج صاحب الشقة..

وجدتُ كتابة غريبة جدًّا عليها.. يبدو أن صاحب الشقة لم ينتبه لها أو ربما ظن أن هذه هي اللغة الإنجليزية التي أدرسها للطلبة.. وأن هذا الخط الشيطاني هو خطي!

أخرجتُ من جيبي هاتفي المحمول ذا الكاميرا البائسة التي تستطيع رؤية الصور فيها بصعوبة، فما بالك بالتصوير بها؟!

وصوَّرت السبورة أكثر من صورة لأحتفظ بهذه الصور لأحاول فهم المكتوب فيما بعدُ! حتى أستطيع تنظيف

السبورة سريعًا قبل حضور الطلبة!

مسحتُ السبورة ولاحظتُ أن كتابتي عليها لا تزال موجودة أسفل المكتوب، وسألت نفسي في حيرة:

- الذي كتب على السبورة ليلًا، لماذا لم يمسح كتابتي وكتب فوقها بهذا الغباء؟!

مَن صاحب هذه الكتابات الشيطانية؟!

ما هذه اللغة العجيبة، والرموز المخيفة؟!

وبعد مرور الوقت.. بدأ التلاميذ في القدوم واحدًا تلو الآخر.. حتى اكتمل العدد..

وبدأت الحصة..

حصة وراء حصة..

وانتهى اليوم..

مسحت السبورة جيدًا.. ثم كتبت فوقها بخط كبير:

- من أنتم؟

***

ذهبتُ إلى خبير لغات، صديقي العزيز الباحث «حامد عريضة».. وأريته الصور التي احتفظت بها على هاتفي.. أبدى

اندهاشًا شديدًا بها وقال:

- يبدو أنها عدة لغات مختلطة وليست لغة واحدة، كأن مجموعة سيَّاح من بلدان مختلفة تركوا توقيعاتهم على هذه السبورة ليلًا.

ثم تصفَّح أكثر من كتاب، ثم فتح جهاز الحاسب الآلي وأبحر في الإنترنت لعلَّه يجد جوابًا شافيًا لفك سر طلاسم تلك اللغة!

وبعد ساعات.. قال بيأس:

- لقد كنتُ مخطئًا.. هذه ليست عدة لغات.. هذه ليست لغة أصلًا!

قلتُ بمنتهى الدهشة:

- ماذا تعني؟!

قال وعلى وجهه حيرة شديدة:

- لم أجد أي لغة بها هذه الرموز.. هذه الرموز لم يرَها أحدٌ على الأرض من قبل!

ابتسمتُ ساخرًا:

- لغة كائنات فضائيَّة مثلًا؟!

أجابني بكل جديَّة وقلق:

- لا.. بل لغة شياطين من العالم السفلي.. على الأغلب!

ارتعد جسدي وقلت مندهشًا:

- ما الذي تقوله؟!

استكمل جملته قائلًا:

- أو طلاسم سحرة يستحضرون هؤلاء الشياطين!

5

لم أصدِّق ما قاله صديقي خبير اللغات، وظننت أنه يهذي أو يهلوس، أو غلبه النعاس، أو فكَّر في حيلة ليتخلَّص مني أو ليمنعني من البحث في الموضوع.

أخبرته أني اقتنعت بحديثه حتى لا يسترسل في الحديث.. ونهضت من مكاني لأودعه فاستوقفني قائلًا:

- اسمع نصيحة صاحب الشقة.. الرجل يبدو محقًّا.. لا تبِت بهذه الشقة ولا تترك شيئًا بها.

قلت له لأنتهي من هذا الجنون:

- حاضر.

***

في صباح اليوم التالي، فتحت الشقة، ورأيت المكتوب على السبورة..

سؤال «من أنتم؟» لا يزال موجودًا وأسفله كتابة أخرى من اللغة نفسها.. صورتُها بكاميرا هاتفي كما فعلتُ في المرة السابقة ومسحت السبورة.. سأذهب إلى عالِم لغاتٍ آخر لأسأله عن الموضوع وأتمنى أن يحدِّثني عن اللغات القديمة ولا يحدِّثني عن الشياطين والسحرة!

في منتصف اليوم تقريبًا، وجدت أحد التلاميذ يتشاجر مع صديقه.. سألتهما عن السبب.. أجاب أحدهما:

- لقد كان يضربني لأني هددته أني سأخبرك بما فعله.

- وما الذي فعله؟

- لقد سرقك يا أستاذ.

- لا.. لا تقُل هذا عن صديقك.. لم يسرقني أحد.. لا بُدَّ أن تعتذر له.

- لا.. بل سرقك يا أستاذ.. واللهِ أنا أخبرك بالحقيقة.

دافع التلميذ الآخر عن نفسه قائلًا:

- والله ما سرقتك يا أستاذ.. لقد وجدته واحتفظت به.. فهل هذه سرقة؟

قال صديقه:

- ما دُمتَ لم تسأل عن صاحبه، فهذه تعتبر سرقة.

سألتهما باهتمام:

- عمَّ تتحدثان؟ ما هذا الشيء الذي وجدته واحتفظت به وصديقك يعتبر هذا سرقة؟

- قلمك الجاف يا أستاذ.

- أي قلم؟

- أحد أقلامك يا أستاذ.. لقد نسيته هنا في الدرس وأنا لمحته واحتفظت به.. لم أكُن أعلم أنه قلمك يا أستاذ.. ظننت أنه قلمي.

قلت لهما:

- أنت أخطأت عندما وجدت شيئًا ولم تسأل عنه! لكن لو أنك ظننت أنه قلمك فأنت بريء! أما أنت فقد أخطأتَ عندما اتهمت صديقك بالسرقة دون أن تتأكد، وفكرت أن تبلِّغ عنه!

ثم سألت التلميذ باهتمام:

- متى وجدت هذا القلم؟

فأخبرني باليوم..

ثم..

رتبت الأمور داخل رأسي..

لقد نسيتُ القلم.. فوجدت قلمًا عجيبًا آخر في اليوم التالي!

ثم نسيتُ سلسلة مفاتيح.. فوجد صاحب الشقة سلسلة مفاتيح واحتفظ بها!

نسيتُ كتابة على السبورة.. فوجدت كتابة أخرى على السبورة!

لو أن ظني صحيح.. فالحمد لله أني لم أنسَ حقيبتي!

وقررت أن أترك شيئًا متعمدًا هذه المرة..

لا.. لن أترك كتابة على السبورة كما فعلت في الليلة الماضية.. بل سأترك كتابًا تعليميًا على أحد المقاعد.. وأنتظر النتيجة في الصباح..

***

في صباح اليوم التالي..

دخلت الشقة متلهفًا لأتأكد من ظنوني واستنتاجاتي.

وبالفعل وجدته..

وجدت الكتاب التعليمي الذي تركته بالأمس.. وفي مكان آخر بالشقة وجدت الكتاب العجيب!

أمسكته.. وتصفَّحت أوراقه التي تشبه جلد البشر.. وتأملت الرموز والرسوم التي تشبه ما رأيتُهُ على السبورة في اليومين السابقين.. وكانت هناك صور سوداء في صفحات كثيرة.. صور يبدو أنها تحوي رسومًا توضيحيَّة للشرح! لكن يبدو أن عيني لا تراها.. أو أن الصور اسودَّت لأسباب لا

أعلمها!

أمسكتُ الكتاب وهرعت إلى مَن سيجيبني عن أسئلتي الحائرة..

لا أقصد عالِم لغات.. بل أقصد صاحب الشقة..

طرقت باب شقته بعنف كأني رجل شرطة يهجم على بيت مشبوه وصحت:

- افتح.

فتح لي الرجل منزعجًا وقال:

- ما الأمر؟

اقتحمتُ الشقة ورفعت أمام وجهه الكتاب العجيب وسألته:

- ما هذا؟

أجابني بهدوء:

- لا أعلم.

قلت شارحًا الأمر:

- عندما نسيت سلسلة مفاتيحي، ذهبتَ أنت لتبحث عن سلسلة مفاتيح، وعندما وجدتها خبأتها مني! بالأمس تركت

كتابًا تعليميًّا بالشقة متعمدًا...

قاطعتني شهقة صدرت من فم الرجل عندما سمع ما فعلتُه وسألني:

- ماذا وجدت؟

- هذا الكتاب.. أرجوك أخبرني ما الأمر! ما الذي يحدث في هذه الشقة ليلًا؟!

وبعد إلحاحٍ.. أخبرني بكل شيء.

***



6

أغلق الرجل العجوز باب شقته وصنع لي عصير ليمون لأهدأ.. ثم بدأ الحديث:

- لقد أخبرتُك مرارًا وحذرتك.. لا تترك شيئًا خلفك.

- لماذا؟

ارتجف جسده وقال:

- لأنهم يقلدوننا بالضبط.. ويتركون لنا مثل ما نترك لهم!



سألته في قلق:

- من هم؟

لم يُجِب عن سؤالي.. وسمعته يبسمل ويحوقل في سره:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. بسم الله الرحمن الرحيم.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

- هل رأيتهم بنفسك؟

كاد ينطق بالإجابة لكنه تراجع.. فربما خشي أن تقوده الإجابة إلى أسئلة أخرى.. ففضَّل الصمت.. وعاد يبسمل ويحوقل..

أخرجتُ القلم من حقيبتي وسألته:

- هل هذا القلم يخصهم أيضًا؟

تأمَّل الرجل بين يديه القلم العجيب، الذي يشبه قرن ثور وغطاؤه يشبه ناب أسد وحبره يشبه الدم وسنه تشبه سن إبرة المحقن.. وقال:

- لا أعلم.. أين وجدته؟

- في الشقة.. عندما تركت قلمي الجاف في الليلة التي قبلها!

- هل تركت قلمك متعمدًا أيضًا أم نسيته؟ ألم أحذرك من أن تترك أي شيء؟

- لماذا تحذرني ولم تخبرني بالأمر؟

- لا يمكن أن أخبرك.. وإن أخبرتك لن تصدقني!

- أنا بالفعل لا أصدقك!

- أرأيت؟ على الرغم من أنك تملك أشياء تثبت لك صحة حديثي ومع ذلك لا تصدقني!

نهضت من مكاني وقلت:

- نعم، معي أشياء غريبة، ولكني لا أصدق ما تقوله!

نهض الرجل من مكانه وقال:

- حسنًا.. لو أنك تريد أن تترك الشقة فأنا أعذرك.. لديك الدافع لذلك ولا ألومك! وسأرد لك ما دفعته و...

قاطعتُه قائلًا:

- لن أترك الشقة.. إن مكانها مناسبٌ جدًّا لي.. ولقد أصبحت مشهورًا في المنطقة والكل يعرف لقبي الآن.. لن أضيِّع شهرتي ومجهود الشهور الماضية! الكل يريد أن يأخذ دروسًا في اللغة عند «مارد اللغة الإنجليزية» لدرجة أنهم أصبحوا ينسون اسمي الحقيقي، لكنهم يحفظون لقبي!

- وما اسمك الحقيقي؟ لقد نسيتُه أيضًا!

***

الليلة..

اتخذتُ قرارًا شجاعًا..

قررتُ أن أكون في انتظارهم..

بعد خروج الجميع، سأبقى في الشقة وحيدًا..

سأخالف أول شرط.. وسأبيت بها!

وبالتأكيد سأخالف ثاني شرط أيضًا!

لن أترك كتابًا.. بل سأترك نفسي كلها هنا في الشقة..

لأرى بنفسي ما يحدث ليلًا في هذه الشقة الغامضة وأعرف الحقيقة..

ولقد أعددتُ نفسي جيدًا لأي مفاجأة من أي نوع.. وجلبت معي سكينًا حادة لأدافع بها عن نفسي.. أضأتُ الشقة كلها..

وانتظرت..

لأرى ما سيحدث..

وأرى هؤلاء الذين يقلدونني ويتركون أشياء مثلي بالضبط، لكنها تخص عالمهم!

لو أن حديثه صحيح فسوف يأتون على الرغم من كل شيء..

لو أنه كاذب فسوف يخشون رؤيتي.. ويخشون السلاح الذي أحمله وتنتهي هذه المهزلة وسأعرف من وراءها!

ومرَّ الوقت..

وحاولتُ أن أقضي على الملل بالعبث في هاتفي واللعب في إحدى ألعابه..

وفجأة..

أظلمت الشقة كلها..

***



7

استيقظ صاحب الشقة على صوت التلاميذ والطلاب يتشاجرون في الشارع فسألهم عن مدرسهم.. فقالوا إنه لم يأتِ بعدُ!

يا له من أمر غريب! لم يتأخر يومًا عن دروسه.. إنه عادةً يأتي قبل تلاميذه!

اتصل به فسمع الرنين، لكن لا أحد يرد!

شعر بالقلق الشديد، وبخاصَّةٍ بعد الزيارة التي زارها له بالأمس والأشياء التي وجدها في شقته وعرضها عليه، مثل القلم والكتاب!

ذهب مع التلاميذ ليفتح الشقة، وطلب منهم أن يبقوا بالخارج حتى يأتي أستاذهم.

دخل الشقة وحده وأغلق الباب ليمنع دخول التلاميذ.

قلبه كان يشك أنه سوف يجد شيئًا مريعًا بالداخل لا يحب أن يراه آخرون غيره، وبخاصَّةٍ لو كانوا أطفالًا!

دخل بخطوات ثقيلة وقلبه ينبض بعنف ويتوقَّع عشرات السيناريوهات السوداء.

دخل غرفة الدرس.. رأى جثة «مارد اللغة الإنجليزية» مطعونًا بسكين عجيبة الشكل لا تنتمي إلى عالمنا.. وفي يده سكين حاول أن يدافع بها عن نفسه ولم يستطِع.. ثم رأى هاتفه الذي حاول الاتصال عليه كثيرًا ولم يرد لأنه قد فارق عالمنا!

بحث في الشقة.. حتى وجد ضالته فاحتفظ بها في جيبه!

ثم مسح بصماته من المكان وأبلغ الشرطة!

***

عاد صاحب الشقة من قسم الشرطة بعد أن أدلى بأقواله.. ودخل شقته.. واتجه إلى غرفة مكتبه.. وفتح خزينته.. ورأى الأشياء التي جمعها من تلك الشقة.. فعادة ما ينسى المدرسون أشياءهم في الشقة! ونظر إلى الوافد الجديد الذي أُضيف إلى القائمة.. هاتف محمول لا ينتمي إلى عالمنا!

ثم نظر إلى اللافتة التي سيضعها من جديد على الشقة (للإيجار).

وعليه أن يحذر المدرس الجديد من أن يترك شيئًا خلفه أبدًا.

إن خزينته أصبحت عامرة بالأشياء الشيطانيَّة.. لا يحب أن

يضيف إليها شيئًا جديدًا!

(تمت بحمد الله)

حسن محمود المطرود

لعنة الغربان!



(حسن محمود المطرود)، كاتب وصانع أفلام كويتي، يهوى تقديم أدب الخيال العلمي الغرائبي، تلك المدرسة التي لا يطرق بابها العديد من الكُتاب العرب...

استطاعت روايته (بارادوكس) أن تحقق نجاحًا متميزًا رغم أنها تقدّم حبكة معقدة، ويناقش فيها فكرة الانتقال عبر الزمن بمعالجة ثقيلة...

يقدم لنا (حسن) اليوم قصة غرائبية جديدة تحتوي على عدد من الانحناءات المفاجئة، ولها علاقة بالغربان!

بعد أن أكمل «باسل» سبعًا وعشرين ساعة بلا نوم، ها هو ينطلق مجهدًا كل أحصنة سيارته، على عجلة من أمره، ولأول مرة في حياته، ما يعني أنه لم يُصَب بهذا الكم من التوتر من قبلُ، فالساعة الآن هي العاشرة والنصف صباحًا..

أي: بعد ثلاثين دقيقة من موعده الحاسم..

قبل أسبوعين من هذا اليوم، كان «باسل» برفقة «سمير»، زميله في العمل، يجلسان في ردهة مقر عملهما كما لو أنهما في جنازة، وذلك بعد تلقيهما آخر إنذار من المدير، الذي خضع بعد محاولات وسبل إقناع اقتربت من عرض أرواحهما له بأن يعطيهما فرصة أخرى لجذب عميل جديد، في اليومين التاليين حرفيًا هما لم يناما ساعة واحدة..

أصبحا يقضيان النهار كله في المكالمات الهاتفية، والليل كانا يسهرانه قلقًا وتفكيرًا في مصيرهما، يومان فقط ما تطلب الأمر كي يحصلا على الزبون المنقذ، أساليبهما

التسويقيَّة ضعيفة جدًّا، لكنها كانت كافية كي تجذبه.. الآن يمكنهما أن يناما..

لأنه اختار أن يلتقيهما في يوم الجمعة بعد المقبل وفي الساعة التاسعة صباحًا في مقهى اقترحه «سمير».

لنعُد إلى متسابق «الفورمولا 1»، وهو يحرق الأسفلت ليلحق بميعاده، كان يقود سيارته المتهالكة بسرعة جنونية تُشعره هو شخصيًّا بالخوف، كاد يموت عندما سمع صوت ارتطام على نافذة سيارته اليُمنى دفعته إلى أن يصرخ..

أوقف سيارته ليلتقط أنفاسه، نزل منها وذهب ليرى ما الذي حدث للتو، وجد جثة لطائر الغراب ملتصقة بالعجلة الأمامية اليمنى، وضع كفه على رأسه وهو يفكر:

«متأخر عن الموعد والآن أصطدم بغراب؟! هل أعتبره نذير شؤم؟ لا أريد أن أفكر على هذا النحو».

في تلك اللحظة وكأنها علامةٌ ما تدله على الاتجاه المعاكس لما يفكر، اتصل «سمير»:

«باسل»، أين أنت الآن؟ العميل على وشك أن يغادر.. أسرِع!

أنهى المكالمة ولم ينطق بأي حرف..

فور أن وضع الهاتف في جيبه شاهد غرابًا آخر يطير نحوه

بسرعه لم تترك المجال للهروب لينقره بعنف على مؤخرة رأسه ويطير مجددًا، أطلق أحد التعبيرات الغريبة التي تُقال لا إراديًّا عند الشعور بالألم، نظر إلى الأعلى ليجد عدة غربان تحوم حوله، أسرع ناحية سيارته وهو يرتجف وأكمل طريقه؛ فهو لا يملك خيارًا آخر.. ولا يملك وقتًا كي يشعر فيه بالهلع؛ فوظيفته على المحك!

بعد دقائق، ركن سيارته في مكان غير مخصَّص لذلك، ترجَّل من سيارته بحذر..

ألقى نظرة سريعة إلى الأفق واتجه مهرولًا ليدخل المقهى، كانت هنا المفاجأة التي أشعرته بالراحة..

لم يجد أحدًا سوى فتاة في الزاوية تشرب قهوتها بهدوء تزعزع فور دخوله..

لينقلب حالها إلى توتُّر أدى إلى سكب قليلٍ من فنجانها، ابتسم كمن يريد أن يعتذر بخجل ثم حدَّث نفسه قائلًا: كم أكره مزاحك يا «سمير»!

ثم أطلق ضحكة بصوت عالٍ، اتجه إلى البائع الذي كان بدوره مرتبكًا أيضًا ويحاول أن يجبر نفسه على إظهار ابتسامة، بثقة وراحة طلب «باسل» قهوة باردة..

ذهب بعدها ليجلس في أحد المقاعد فمد يده متناولًا

الصحيفة على غير عادته؛ فهو الآن بحاجة إلى أن يفعل أي شيء يُنسيه اللحظات الحرجة لهذا اليوم المشؤوم، لم يسعه الوقت لأن يكمل قراءة صفحة واحدة..

أطلق هاتفه صوت إشعار لرسالة جديدة تحتوي على شتيمة ثقيلة من «سمير»، قابلها «باسل» بالرد:

كف عن المزاح، أنا هنا بانتظاركم.. لا تتأخرا!

بعد هذا الرد، تكررت الشتيمة ذاتها، ولكن برفقتها صورة جعلت صديقنا يشهق بشدة..

صورة للمقهى ذاته، ولكنه بدا خاليًا!

بل إن الصورة التُقطت للمكان نفسه الذي يجلس فيه «باسل»!

عجز عن التفكير للحظات ثم بدأ بمقارنة الصورة مع المكان الذي يجلس فيه حاليًا، الألوان ذاتها.. والأثاث كما هو!

ما الذي يحدث؟

قالها وهو يضع يده على فمه وهو ينظر ناحية الفتاة، يرمي ببصره جهة البائع وهو قادم نحوه حاملًا كوب القهوة إليه، تسلَّمه فنزع الغطاء عنه ليشربه دفعة واحدة ثم عاد ليراقب المكان مرة أخرى وسط استغراب الرجل، نهض من مكانه

تاركًا هاتفه والأوراق فخرج من المقهى ليتحقَّق من الاسم، ولم تُضِف محاولة التأكُّد أي شيء مفيد، عاد إلى الداخل بعد أن تلاشت من ذهنه أي أفكار من الممكن أن تبرر الموقف، صُعق بما رآه عندما اقترب من مقعده..

بقعة دماء صغيرة على ظهر الكرسي الذي كان يجلس عليه، عاد جسده ليرتجف بعنف..

جلس على المقعد المقابل له فتناول هاتفه واتصل بصديقه:

- «سمير»، هناك شيء ما يحدث هنا!

حاول «سمير» أن يكتم أي انفعال ينم عن غضبه:

- ماذا؟ لقد تأخرت كثيرًا! ما الذي يحدث معك؟

- أنا في المكان ذاته، لكنكما لستما هنا.

- ماذا تقصد؟ لا نملك وقتًا للهو!

ثلاث ثوانٍ من الصمت قرر فيها «باسل» أن يحلل الأمور ويستنتج التالي:

صدقني أرجوك.. أعتقد أنني...

أخذ نفسًا عميقًا وأكمل:

- أشعر أني متقدم بالزمن! لا أعرف كيف ذلك.. ربما هجوم

الغراب.. لا أعلم، لكنني متأكد من ذلك!

- أيها الأبله، لا نملك الوقت لهذه الحماقات.

- اسمع.. البائع الموجود في الصورة التي التقطتَها هو الشخص نفسه الموجود هنا أمامي! انظر.

حوَّل «باسل» المكالمة من صوتية إلى مرئية وبدأ يهمس:

- هل صدقتني الآن؟ هناك شيء ما خارق للطبيعة، وأعتقد أن...

- بدأتَ تصيبني بالجنون يا «باسل»!

- أعتقد أنكما في خطر!

أعاد المكالمة إلى صوتية فقط وأكمل الهمس:

- أخبرني.. أين البائع الآن؟

خرج منذ لحظات، يمكنني أن أراه من خلال الزجاج.

- ماذا يفعل بالخارج؟

- ينظِّف الأرضية بالمكنسة، مهلًا..

- ماذا؟

- إنه ينتزع عصاها!

قال «باسل» بفزع:

- اهرب.. انجُ بحياتك يا صديقي!

- لماذا؟ والعميل؟ هل أتركه هكذا؟

- فليمت وحده، البائع سيقتلكما معًا.. إنني أرى آثار دماء على المقعد نفسه الذي تجلس عليه الآن، أسرع!

- ها هو قادم!

- «سمير»!

صرخ «باسل» بعد أن أنهى المكالمة ليقاطع حديث البائع والفتاة، فعمَّ الهدوء وتبادُل النظرات بارتباك..

مدَّ يده في جيبه فأخرج ورقة نقديَّة لم يأبه لفئتها، وضعها على الطاولة واتجه إلى سيارته، ظل جالسًا وآثار الصدمة لم تفارق وجهه، بدأ بترتيب أفكاره:

إن كنتُ أنا أعيش حاليًا في الساعات التي تلت الاجتماع، فذلك يعني أنهم لم ينجوا! ربما «سمير» لا يزال مختبئًا بالداخل.. وعلى الأرجح ميت، ولكن كيف كنت أحدثه قبل قليل؟

لا إراديًا سالت دمعته لتختلط بالعرق الذي ينهمر من وجنته إلى ذقنه من شدة التوتُّر، غادر سيارته ليعود إلى

المقهى مرة أخرى وهو يردد:

- يجب أن أفعل شيئًا.

في هذه الأثناء، بينما هو يلتف حول مركبته كي يعبر إلى ذلك الباب.. وجد نفسه محاصَرًا بين سيارته وسيارة أخرى قادمة نحوه بسرعة كبيرة جدًّا، وكأن صاحبها يقصد قتله، لكنه بسرعة بديهته استطاع أن ينجو بعد أن قفز كوثبات الأولمبيين.. غير أن هبوطه لم ينجح بسبب اختلال وزنه، كانت محاولة نهوضه فاشلة أيضًا؛ لأنها كانت اللحظة التي كان ينتظرها سرب الغربان الذي ينتظره في الأعلى، لم تنتظر تلك الطيور؛ فقد انقضَّت عليه وكأنها ذئاب بأجنحة، أصبح «باسل» مغطى بها.. لا يكاد يُرى، نعم كان ذلك كفيلًا بقتله!

وكأن شيئًا لم يكُن.. يفيق «باسل» في سيارته؛ فقد غاب عن الوعي، ولكن لم يكُن ذلك بسبب تجمُّع الغربان حوله عندما سقط، بل كان ذلك الإغماء بسبب نقرات الغراب القليلة التي تلقاها قبل قليل، وذلك فقط ما أفقده الوعي ليس أكثر؛ لأن كل ما حدث للتو هو مجرد خيالات صنعها عقله المسكين في أثناء نومه الذي ابتدأ فور أن وصل «باسل» بسيارته عند باب المقهى، فهو لم يدخل بعدُ..

وهذا ما عرفه باسل عندما عاد إلى وعيه، جبينه يتعرَّق بطريقة جنونيَّة، نظر إلى ساعته ثم نظر إلى السماء، غادر

سيارته فدخل المقهى للمرة الأولى له، رأى البائع وهو ينظر إليه بارتباك ممسكًا برزمة نقود يقوم بعدها كما شاهد في حلمه..

الفتاة لا تزال جالسة في مكانها نفسه، ما أثار استغرابه، تقدَّمَ ناحية البائع الذي وضع الرزمة بجانبه كي يستقبله، أخرج هاتفه بغباء، فتح صورة قديمة له برفقة «سمير» وتقدَّم ليعرضها على البائع:

- المعذرة يا سيدي، هل رأيت هذا الشخص من قبلُ؟

زالت نظرات التوتُّر تلك عن وجهه، فنظر بتمعُّن ثم قال:

- نعم أعرفه.. إنه زبون دائم، لكنني لم أرَهُ منذ مدة.

شعر «باسل» أن هذا الحوار لم يُضِف شيئًا، وضع يده على مؤخرة رأسه وهو يسأل ببلاهة:

- اليوم هو الجمعة.. أليس من المفترض أن يُفتح المقهى بعد الساعة الرابعة؟

بعد أن أتم سؤاله شعر برطوبة في يده وهو يحك رأسه.. نظر إلى كفه فوجدها مبللة بدماء إثر هجوم الغراب، أطلق شهقة لم يعرها البائع أي اهتمام ليجيب عن سؤاله:

- نعم، هذا الفرع من المقهى يكون مغلقًا عادةً في مثل

هذا الوقت، أما الفرع الآخر الذي يديره أخي فهو يبقى مفتوحًا أربعًا وعشرين ساعة، هنا حاليًا ننظِّف المكان ونراجع الحسابات.. لم نود أن نمنعك من شرب القهوة؛ لذا استقبلنا طلبك.

شعر بإحراج لم يسبق أن أحس به من قبلُ على الرغم من أن موقفه لم يكُن محرجًا لذلك الحد ظاهريًا، وبدلًا من أن يُنهي «باسل» الحديث بالشكر، أشار إلى زاوية المقهى وقال:

- هل هذا هو الحمام؟

- نعم!

توجَّه إلى دورة المياه ببلاهة، دخل وأقفل الباب ثم نظر إلى انعكاس وجهه في المرآة، يحاول أن يستجمع كل ما حدث..

تغيَّرت ملامح وجهه عندما وصلت إلى ذهنه فكرة إقالته من وظيفته بسبب ذلك التأخير، أدار مقبض الصنبور فبدأ بغسل الدماء على رأسه وكفيه، انتهى وغادر الحمام.. بعد خطوتين فقط فوجئ بوجود بقعة الدماء على الكرسي، ما أثار تساؤلات كثيرة في رأسه، أخرج هاتفه النقَّال ليعاود الاتصال بصديقه ويشرح له الموقف بخوف، ضغط على زر الاتصال وكان آخر ما سمعته أذناه في حياته هو صوت رنين

هاتف «سمير» قادمًا من جيب قميص البائع..

على الأرجح، لم يكُن بائعًا!

ميشيل حنا

الحجر



(ميشيل حنا) كاتب مصري حاصل على العديد من الجوائز في مجال القصة القصيرة والتصوير الفوتوغرافي. كتابته تميل إلى الغرابة، وتتميز أفكاره بأنها طازجة، وتحمل العمق

في ثناياها...

نلتقي هنا مع واحدة من قصصه الغرائبية التي تتحدث عن حجر غامض يرفض مغادرة حياة أسرة كاملة...

القصة كعادته (ميشيل حنا) مُسلّية وغريبة بحدّ ذاتها، ولكن أيضًا تحمل عددًا من الرموز والدلالات المخفية...

كانت المرة الأولى التي أنتبه فيها إلى الحجر وأنا في نحو الثالثة عشرة من عمري، وقبل هذا كان وجود الحجر لا يمثل لي أي شيء غريب أو مثير للانتباه.

بداية أقول إننا نسكن في فيلا في منطقة (الزيتون).

لسنا في الحقيقة من الموسرين أو أصحاب الأملاك، لسنا كذلك على الإطلاق، فمستوانا الاقتصادي يقع ضمن شريحة الطبقة المتوسطة، بل نحن أقل بكثير من مستوى الطبقة المتوسطة إذا جاز لي أن أقول هذا.

أقول هذا لأن كل من يسمع أننا نعيش في فيلا فإنه يعتقد اعتقادا خاطئا في قدراتنا المالية.

هذه الفيلا ورثناها عن جدي، وهي صغيرة الحجم من طابقين على طراز قديم لا يوحي بأية فخامة من أي نوع، كما أن تشطيباتها الداخلية من النوع الرخيص جدا،

بلاط عادي في الأرضيات، والحوائط مدهونة بالزيت إلى المنتصف فقط وباللون السماوي كعادة الناس في الأرياف. حوائط الحمامات مغلفة بمربعات القيشاني الأبيض الصغيرة إلى منتصفها أيضا، والمراحيض من النوع البلدي. بالطبع أثرت عوامل الزمن في شكل كل شيء ليصير أسوأ مما كان قبلا، فالحوائط كالحة والطلاء قد تقشّر معظمه في كل الحوائط تقريبا، كثير من بلاطات القيشاني مشروخ وبعضها مخلوع في أكثر من موضع. وبخلاف كل هذا فإننا لا زلنا نستعمل أثاث جدي العتيق حتى الآن! الخلاصة أن الفيلا بحاجة إلى إعادة تشطيب من جديد، مع إعادة تأثيث بالكامل، الأمر الذي يفوق قدراتنا المالية بمراحل.

كان جدي رحمه الله موظفا في المتحف المصري في أيام الإدارة الفرنسية للمتحف، وقد كان الموظف الحكومي شخصا مرموقا في تلك الأيام السعيدة.

كان المرتب الحكومي يكفي ويفيض، وكان جدي يدخر أيضا، ولم يكن مرتب جدي عاديا، فقد كانت له حظوة خاصة لدى مدير المتحف الفرنسي بسبب إجادته التامة للفرنسية وثقافته العالية، إضافة إلى كونه يقوم بدور حلقة الوصل بين المدير الفرنسي وباقي الموظفين المصريين، والذين لم يكن معظمهم يجيد الفرنسية بالقدر الكافي لفهم نصف كلام

المدير.

تزوج جدي من إحدى قريباته كعادة أهل ذلك العصر وأنجب والدي.

لم ينجب سواه. وبعد فترة قصيرة ابتاع قطعة الأرض هذه وبنى عليها الفيلا. كانت هذه منطقة مخصصة لبناء الفيلات ذات الحدائق الصغيرة ولم يكن يُسمح بزيادة ارتفاع المباني فيها عن طابقين.

أعتقد أن إدارة المتحف قد ساعدت موظفيها على امتلاك الأراضي في هذه المنطقة، وإن كنت لست متأكدا من هذه النقطة.

بنى جدي الفيلا وانتقل إليها مع زوجته وابنه.

بعدها بوقت قصير تقاعد جدي ليبدأ الجزء السعيد من حياته بعد ذلك. كان يقضي وقته ما بين الجلوس في الشرفة في الطابق الأرضي يراقب الشارع الهادئ، وبين ممارسة الزراعة في الحديقة الخلفية. نعم هذا الفناء الخلفي الخرب الممتلئ ب(الكراكيب) والذي يحتوي على هيكل سيارة محترق وتعبث فيه الخنافس وعائلات من حيوان العرسة كان حديقة غناء تمتلئ بأزهار (البانسيه) و(الباتونيا)، وتعريشة عنب تقطف منها جدتي ورق العنب لعمل المحشي

على مدار العام، وفي المنطقة المتاخمة للسور كان جدي يزرع النعناع الأخضر والبصل، والفجل، والبقدونس والكرات.

توفي جدي بعد سنوات قليلة، ولحقت به جدتي بعدها بعامين، وتزوج أبي في الفيلا التي آلت ملكيتها إليه، وأنجب ولدين، أخي الأكبر الذي يكبرني بأربعة أعوام، وأنا.

***

أما أبي فكان موظفا حكوميا في إحدى إدارات مجمع التحرير الضخم، وقد عُيِّن أبي في الزمن الذي كانت فيه الحكومة مسئولة عن توظيف الخريجين، عن طريق خطابات التعيين الصفراء التي كان الخريج يقبع في البيت في انتظارها إلى أن تصل.

لم نكن فقراء، ولم نكن أغنياء، كما لم يكن حالنا أفضل ولا أسوأ من غيرنا. كانت حياتنا بسيطة، وكان حال الفيلا قد بدأ يتدهور بسبب انعدام الصيانة والتجديد، ولم يكن هناك فائض مالي لإجراء أية تجديدات، إلا أن أبي كان يدّخر جاهدا لشراء سيارة صغيرة كانت تمثل حلمه الخاص. كان ذلك هو العصر الذي بدأ فيه عامة الناس في امتلاك السيارات الصغيرة المصنعة محليا.

استمر أبي في الادخار واشترى السيارة بالفعل، كان ذلك

في الوقت الذي انتبهت فيه للمرة الأولى إلى الحجر.

***

كان الحجر دوما هناك.

في بهو استقبال الفيلا يوجد حجر ضخم يبرز من الأرض ويقبع في وسط المكان، يعلو عن الأرض بنحو متر ونصف، غير منتظم الشكل، يميل بزاوية 45 على الأرض مما يجعله غير قابل للاستخدام كطاولة.

شكله قبيح ومنفر ولا يتناسب مع الفيلا، لكنني لم أنتبه إلى وجوده إلا عندما بلغت.

كان دوما هناك كشيء عادي وكحقيقة من حقائق الحياة. الأثاث موزع حوله بينما يقبع هو في المنتصف. عندما كنت صغيرا كنت أصعد عليه وأقفز إلى الأرض، أو أصعد وأتزحلق على سطحه المائل الأملس. لكن في ذلك اليوم فقط نبض وريد في جبهتي وبزغ تساؤل في رأسي: لماذا يقبع هذا الحجر هنا؟

كنت قد عدت لتوّي من بيت أحد أصدقائي، ظللنا نلعب في بيته لعدة ساعات إلى أن تعبنا، وعندما عدت ودلفت إلى الفيلا انتبهت إلى الحجر. اكتشفت للمرة الأولى أن بيوت الناس لا توجد بها أحجار كهذه وأن وضعنا نحن هو المتفرد

والمختلف.

أخذت أتأمل الحجر فوجدت أن سطحه يحتوي على ما يشبه آثار نقوش ممسوحة. نقوش باهتة جدا وغير واضحة. شيء غريب. لأول مرة أنتبه إلى هذه التفاصيل. ولماذا نحتفظ بشيء كهذا في بيتنا؟ هل له أهمية خاصة؟

ظل هذا الموضوع يؤرق بالي. انتظرت حتى عاد أبي من الخارج وألقيت عليه السؤال: لماذا يا أبي نحتفظ بهذا الحجر الكبير في بهو الفيلا؟

تأمّلني أبي قليلا، وقد بدا عليه أنه لاحظ لأول مرة أنني كبرت.

سألني ساخرا عما إذا كنت أرى الحجر اليوم للمرة الأولى؟

شعرت بالخجل، وبأن هذا السؤال قد تأخر كثيرا جدا. قال لي وهو يدلف إلى السرير أن أتركه الآن لأنه مرهق على أن نتحدث غدا. وبتُّ في تلك الليلة أفكر في الحجر وفي السرّ الذي سيخبرني به أبي غدا.

لكن لم يُتح لي أن أسأله في اليوم التالي ولا في أي يوم آخر، ففي الصباح التالي انقلبت السيارة بأبي واحترقت وهو بداخلها!

***

لازال هيكل السيارة المحترقة يقبع في حديقة الفيلا حتى اليوم، وإن كان قد تغطى الآن تماما بأكوام القمامة وأوراق الأشجار.

دمر هذا الحدث حياتي. ليس من السهل أبدا فقدان الأب في هذا السن المبكر، وقد جعل هذا الأمر أمي مهمومة دوما لعظم المسئولية التي ألقيت على كاهلها. بالطبع كان المعاش ضئيلا ولا يكفي ولدين في مرحلة التعليم وأمهما، وأمي التي لم تكن تعمل قبلا اضطرت إلى العمل كبائعة في أحد المحلات لتحصل على دخل إضافي يساهم في تخفيف عبء نفقات المعيشة.

***

وعلى مدى السنوات التالية تغيرت المنطقة تماما. كل الفيلات التي كانت تزخر بها المنطقة في الزمان الغابر، قد باعها أصحابها لتعمل فيها معاول الهدم وترتفع مكانها أبراج خرسانية هائلة يتراوح طول الواحد منها بين عشرة وعشرين طابقا. كان أبي قد رفض البيع في تلك الأيام لأسباب عديدة، منها الذكريات التي تحملها لنا جدران هذا البيت، كما أنه ظن أن انتقالنا من الحياة في فيلا إلى شقة صغيرة سيؤدي إلى هبوطنا درجة في السلم الاجتماعي،

إضافة إلى أننا اعتدنا على امتلاك المكان الذي نسكن فيه من الباب وحتى السطح، فظن أننا لن نرتاح إذا انتقلنا إلى عمارة كبيرة ليس لنا فيها سوى جزء صغير، كما أنه كان يكره الجيران والمشاكل اليومية التي يتسببون فيها بسبب تقاطع حيواتهم معا، على أي حال فمن الصعب أن تكون هناك شقة تكفي حاجياتنا وكل الكراكيب المتراكمة منذ أيام جدي، والتي لم يكن أبي يرغب في التخلص من أي منها.

بانتصاب الأبراج الضخمة حولنا تحولت المنطقة إلى جحيم حقيقي. ضوضاء لا تنتهي بالليل أو النهار. حركة السيارات لا تتوقف ولم يعد هناك أماكن لركن السيارات على وجه الإطلاق، فالشارع ضيق من الأساس ولا يحتمل كل هؤلاء الناس الذين انصبّوا للعيش فيه. كل برج كان يفتح في طابقه الأرضي بضع محلات تحتل الرصيف أمامها ببضائعها، وانتقل باعة الخضر إلى الشارع، وفي البرج المقابل للفيلا مباشرة افتتحت ورشة لسمكرة السيارات جعلتنا لا نستطيع النوم ليلا ولا نهارا، ناهيك عن الألفاظ البذيئة التي يتبادلها صبيان السمكري طوال الوقت، والشجارات الدامية التي تستعمل فيها المطاوي أحيانا، والتي لا تخرج أسبابها عن الخلاف التقليدي بين الندل الذي يعاكس الفتيات، والشهم الذي يدافع عنهن. والألعن من كل هذا هو القهوة التي تحتل ناصية الشارع، والتي تبيع البانجو جهارا نهارا، وتغلق الباب

على روادها ليلا لمشاهدة القمر الأوروبي بدون إزعاج، والتي لا أعرف سببا واحدا يمنع الأجهزة المعنية من مداهمتها سوى أن أصحابها يدفعون بسخاء.

وبالنسبة لنا فقد أصبح المكان غير مناسب لوجود فيلا من الأصل، حيث بدت فيلتنا كشيء شاذ وسط المكان.

ولأن الأبراج بنيت على كامل مساحة أرض الفيلات التي شيدت على أنقاضها، دون ترك أي جزء لعمل حديقة، فقد جعلها هذا ملاصقة تماما لسور حديقتنا، كأن سور الحديقة قد ارتفع عشرات الأمتار من الجهات الثلاث.

منعت عنا الأبراج الهواء وصار الجو داخل الفيلا حارا لا يطاق، فلم يعد أي شباك قادرا على الإتيان بنسمة واحدة من الهواء. إضافة إلى المنظر القبيح للطوب الأحمر الذي بنيت به الأبراج، حيث لم يتم تغطية الطوب بالمحارة والدهان توفيرا للنفقات.

أصبحنا في سجن كبير ودميم!

ومن ناحية أخرى فقد صار سطحنا وبلكوناتنا وحديقتنا كلها مكشوفة لمئات الأعين التي تسكن في مستوى أعلى منا.

صرنا هدفا للأعين المتلصصة، تلاحظنا كلما خرجنا إلى الحديقة أو صعدنا إلى السطح. أما المشكلة الكبرى، فهي

القمامة التي يلقيها الناس من النوافذ على حديقتنا، عشرات النوافذ من الجهات الثلاث تلقي بالقمامة علينا من آن لآخر، حتى تحولت الحديقة إلى مزبلة، وقد يئسنا وتركناها في النهاية دون تنظيف لأنه لا فائدة ترجى من توقف الناس عن هذه العادة.

لم تكن الظروف سهلة، لكننا كبرنا وتخرجنا وعملنا، ثم ماتت أمي هي أيضا، وصرت أنا وأخي وحدنا في الفيلا.

***

خطب أخي الأكبر إحدى زميلاته في العمل، وعلى طريقة الأفلام العربية القديمة أعجبت أنا بالأخت الصغرى لخطيبة أخي وخطبتها أنا أيضا!

أعجبني فيها بشكل خاص أنها تدخن الكثير من السجائر! كانت صريحة معي وكنت صريحا معها، عندما صارحتها أنني كثير التدخين صارحتني هي أيضا أنها تدخن سرّا وأن أحدا في عائلتها لا يعرف بهذا الأمر. وأنا أحب الفتاة المدخنة بشكل خاص، ففيها قوة شكيمة وجرأة وسحر لا يقاوم!

كان هذا سرّنا المشترك، نتحدث في الهاتف لساعات، أنا أدخن وهي تدخن على الطرف الآخر، وكانت تغلق غرفتها على نفسها بالمفتاح عندما تكلمني، وكان أهلها يتركونها دون

إزعاج عندئذ مما سهل لنا عملية التدخين المشترك عن بعد!

قربنا سرنا من بعضنا البعض، وأردت أن أتم الزواج بسرعة، لكن لم تكن الأمور بهذه السهولة.

لقد خطبنا – أخي وأنا - ونحن كبيرا السن نسبيا: أخي في السادسة والثلاثين وأنا في الثانية والثلاثين. نحن في عصر ارتفع فيه سن الزواج بشكل ملحوظ وانتهت فيه موضة النظام القديم في تأجير الشقق وبدأت موضة التمليك.

كانت مشكلتنا أننا لن نستطيع أن نسكن معا في الفيلا إذا تزوجنا. ليس لديّ مشكلة في ذلك ولا لدى أخي أيضا، لكن الفتاتين اللتين تقبلان بهذا الوضع لم تولدا بعد، كل فتاة تريد أن يكون لها مكانها المستقل الذي لا تشاركها فيه أخرى.

كان من الممكن أن يسكن أحدنا في الدور الأرضي والثاني في الطابق العلوي، إلا أن الطابق العلوي أضيق بكثير من الأرضي بسبب اقتطاع جزء كبير منه كسطح كان يستخدم في تربية الطيور المنزلية على عادة أهل العصر الذي بني فيه المكان، كما أنه لا يوجد حمام في الطابق العلوي فالحمام الوحيد في الطابق الأرضي.

أما مسألة البناء فتحتاج إلى سيولة لا تتوافر لدينا في ظل الارتفاع الهائل في أسعار مواد البناء. أشعر أن والدي قد

ظلمنا ظلما بيّنا عندما لم يقم ببيع هذه الفيلا.

حاولنا أخي وأنا بيع الفيلا لأحد مقاولي الأبراج للاستفادة من ثمن الأرض المتزايد، فثمن الأرض يكفي كي يبتاع كل منا شقة منفصلة وليتبقى بعد ذلك مبلغ لا بأس به أبدا لكل واحد، إلا أن قانونا صدر بمنع هدم الفيلات قد قضى على آمالنا.

لم يعد هناك من يرغب في شراء الفيلا. عقار صغير لن يدر ريعا وسيعود بالخسارة على مالكه، ما لم يهدمه لينهض مكانه مارد خرساني آخر يحوي عشرات الشقق الضيقة كعلب الكبريت المتراصة فوق بعضها البعض، يدفع فيها الناس مدخراتهم ليحصلوا على حجم ذي أبعاد ثلاثية يتحركون فيه وينتمون إليه.

أصبت أخي وأنا بإحباط لا يمكن وصفه. تحطمت مرآة أحلامنا بحجر أخرق. نقف فوق ثروة ونحن فقراء. ما أقسى هذا الشعور.

***

كنا نجلس – خطيبتي وأنا – في ذلك الكازينو، نثرثر وندخن!

كنا نتحدث في كل الأمور الحياتية. من الجميل أن لنا

نفس الآراء في كل شيء تقريبا، مما يشي بأن الخلافات المستقبلية بيننا ستكون شبه منعدمة، أو هكذا أتمنى.

أنفث دخان سيجارتي في وجهها، وتنفث دخان سيجارتها في وجهي، ونضحك!

لكنها سألتني عن الحجر.

كانت متعجبة من وجود شيء كهذا في وسط بهو الفيلا. لها الحق طبعا، فالأمر ملفت للنظر وأغرب من المعتاد، لكني لم أعرف كيف أرد. لم يكن أبي قد أعطاني ردا عن هذا الأمر قبل أن يموت. اكتشفت أنني طوال السنوات التالية لموت أبي لم أتحدث عن الحجر سواء مع أمي رحمها الله أو مع أخي. كان شيئا عاديا في حياتنا لا يحتاج إلى نقاش، وكنت أنا أتجنب الحديث أو السؤال عنه. كان هناك ارتباط في ذهني بين الحجر وبين حادث أبي. صرت أعتبر الحديث عنه نذير الشؤم.

فجأة ونحن جالسان، انتابتني نوبة من الكحة الشديدة، وخرجت كمية كبيرة من البلغم من صدري هي جزء من نتاج سنوات طويلة من التدخين.

احتقن وجهي تماما وشعرت بعينيّ تدمعان. شعرت خطيبتي بالقلق عليّ وصممت أن أذهب إلى طبيب للأمراض

الصدرية في أقرب وقت ممكن. وأنا كنت أريد أن أذهب فعلا إلى طبيب لأنها لم تكن المرة الأولى التي تداهمني فيها هذه النوبة.

***

قال لي طبيب القلب أن هناك تكلّسا شديدا في عضلة القلب. الكالسيوم يترسب في عضلة قلبي، وهذا ما جعل القلب يظهر في صورة الأشعة السينية.

كنت قد أجريت أشعة على الصدر بناء على طلب طبيب الأمراض الصدرية الذي ذهبت أشتكي له من الكحة المزمنة التي تلازمني بسبب إدماني للسجائر. كتب لي بعض الأدوية المذيبة للبلغم والموسعة للشعب الهوائية، كما نصحني بالتوقف عن التدخين. كان الطبيب يريد أن يطمئن إلى عدم وجود سلّ، ولهذا طلب إجراء الأشعة. ولم يكن هناك سلّ، إلا أنه رأى القلب بلون أبيض في الأشعة السينية، وقد كان هذا شيئا غريبا في هذا النوع من الأشعة الذي يُظهر العظام والأجسام المعتمة فقط، بينما تظهر العضلات ومن بينها عضلة القلب بشكل شفاف. نصحني الطبيب المتعجب من صورة الأشعة – والتي ظل محدقا فيها لفترة طويلة وهو معقود الحاجبين – بأن أذهب في أقرب وقت لمراجعة أحد أطباء القلب.

ولم أكذب خبرا. ذهبت في نفس اليوم إلى أحد أطباء القلب المشهورين. الغريب أنني لا أشتكي من أي شيء بخصوص القلب. كشف عليّ الطبيب وأجرى الفحوصات المعتادة. ليس هناك ما يشي بوجود مرض ما. تشكك الطبيب في هذه الأشعة وطلب إجراء واحدة أخرى على وجه السرعة.

عدت إليه في اليوم التالي ومعي الأشعة الجديدة، وكانت مطابقة للقديمة تماما. كان الطبيب متعجبا جدا. قال لي أن هذا لا يمكن أن يكون قلب إنسان حيّ. قال إنه يبدو وكأن هناك حجرا في قلبي!

***

ولازالت مشكلتنا المتمثلة في محاولة إتمام الزيجتين بلا حل. الفيلا التي كنا نعتبرها الثروة التي نمتلكها في الحياة اكتشفنا أنها عديمة القيمة تماما ما لم تهدم. قيل لنا أنه لا أمل في استصدار قرار بهدم الفيلا إلا إذا كانت آيلة للسقوط بحيث تصبح خطرا على حياة ساكنيها وعلى العقارات المجاورة. نمت لديّ كراهية شديدة للمكان، ومن الغريب أن يتحول حبي للمكان الذي ولدت ونشأت فيه ولم أعرف غيره طيلة سنين حياتي إلى كل هذا الكره.

صرت أكره الجدران ولون البلاط والكراسي والطاولات

والأسِرّة والحجر الذي يستقر في صالتها. أريد أن أمسك فأسا وأحطم به كل شيء هنا. صارت الكراسي تؤلمني حين أجلس عليها، وأتقلب أرقا على السرير حين أستلقي عليه، وأظل فاتحا عينيّ إلى أن يبزغ الضوء. صرت أصاب بالإمساك كلما دخلت حمامها، وتهاجمني روائح كريهة حين أفتح نوافذها، وأختنق من الحر حين أغلقها. صارت حياتي مستحيلة مع كل هذا الكره. أريد أن أهدم هذه الفيلا بأي شكل حتى ولو سقطت على رأسي ودُفنت تحتها. وعزمت فعلا أنا وأخي على التحايل لهدمها. توقفنا عن إجراء أية إصلاحات بها حتى الضروري منها، إذا كان هناك صنبور ينقّط تركناه يزعجنا طوال الليل. لم نعد نقوم بتغيير المصابيح الكهربية التي تحترق، رغم أن هذا كان يجعلنا نعاني من ظلام بعض الغرف، فلا نرى شيئا فيها بعد الغروب. اكتشفنا أننا بهذا لا نضايق سوى أنفسنا، لكننا كنا نشعر بأن أي أموال تنفق على هذا المكان الجدير بالهدم هي أموال ضائعة. أما الخطوة الفعالة الحقيقية التي اتخذناها لدعم خراب الفيلا فهي أننا قمنا بتركيب خرطوم طويل على إحدى الحنفيات ووضعنا الطرف الآخر في الحديقة بجوار أساس الفيلا، وصرنا نفتح الماء طوال الليل ثم نغلقه في الصباح، على أمل أن يؤدي كل هذا الماء إلى إتلاف أساس الفيلا، خاصة وأن الأساس من الحجر على الطريقة القديمة في البناء وليس

خرسانيا كهذه الأيام. ظللنا على هذا الحال أياما طويلة، حتى أن الماء لم يكن يجف مطلقا حول الفيلا وقد تجمع في برك كبيرة هنا وهناك، وقد تلفت معظم النباتات النامية في الحديقة وتعفنت جذورها.

صارت هناك رائحة عطن وعفن دائمة في المنطقة، إلا أن الفيلا لم يبد أنها تأثرت، كما لم تبدأ الشروخ التي ننتظرها في الظهور.

***

لكن الفرج جاء من اتجاه آخر.

أتى من قلق حَمي - الذي هو حمو أخي أيضا – من ألا تتم الزيجتين ويضيع مستقبل ابنتيه بسبب موضوع الفيلا التي لا نقدر على هدمها أو بيعها أو الاشتراك في السكن فيها، فكان أن تطوع بابتياع شقة ليسكن فيها أحدنا، بينما يسكن الآخر في الفيلا، وبهذا تحل مشكلة الزيجتين.

صمّمت الأخت الكبرى على أن تسكن الشقة، رغم أن أخي كان يفضّل أن يسكن هو في الفيلا باعتباره الأكبر والأجدر بالسكن فيها ليكمل مسيرة الجد والأب، وكأنها مسيرة اكتشاف الذرّة، لكن خطيبته صمّمت أنها لا يمكن أن تسكن في هذه "المخروبة" على حد قولها.

وبعد أن حُلّت المشكلة وصارت الفيلا من نصيبي، ندمت على كل هذا التخريب الذي صنعناه فيها، وعلى كل هذه المياه التي صببناها في أساساتها.

بدأ أخي في نقل حاجياته إلى الشقة التي أعطاها له حموه، وبدأت أنا في تجديد الفيلا، استخدمت مدخراتي طوال هذه السنين إضافة إلى مبلغ أعطاني إياه حَمي من خلف ظهر ابنتيه وأخي، على أساس أنه "يشتري رجلا".

الحق أننا محظوظان – أخي وأنا – بهذا الحَم وبهاتين الزيجتين. لقد بدا أن الحياة ستبتسم لنا أخيرا.

***

بدأت العمل في الفيلا. سأقوم أولا بتغيير البلاط المتهالك وتركيب سيراميك جديد، بعدها سأقوم بتغيير الأسلاك الكهربية في الحوائط وتغيير الحمامات ثم عمليات الطلاء. إن هذه الأشياء تتكلف كثيرا هذه الأيام، لكنني سأحاول الاقتصاد في الخامات قدر الإمكان.

أتى العمال ليبدؤوا في تكسير البلاط القديم، وبدأت المعاول تعمل، لكنهم اصطدموا بالحجر!

الحجر الذي يتوسط بهو الفيلا، والذي يرتفع لنحو متر ونصف متر. كان العمال متعجبين من وجود شيء كهذا في

بهو الفيلا، فهم لم يشاهدوا شيئا كهذا قبلا.

كنت أود تكسيره ليصبح في مستوى الأرضية، إذ أن عملية إزالته وتحريكه من مكانه ستكون صعبة جدا. إلا أن الأزاميل والفئوس لم تؤثر فيه مطلقا، وعلى مدى نصف ساعة كاملة انهالت على الحجر كافة وسائل التكسير دون أن يظهر عليه التأثر بما يتعرض له!

اقترح أحد العمال أن نقوم بتسخين الحجر إلى درجة الاحمرار، ثم نقوم بصب الخل البارد عليه، وأضاف أن هذه وسيلة لا تخيب لتكسير أي حجر أيا كان نوعه، إلا أنني لم أستسغ الفكرة، وهكذا لم يكن هناك بدّ من تغيير الخطة إخراجه من مكانه بدلا من تكسيره.

بدأ العمال في الحفر حول الحجر، وقد فوجئنا بأن له عمقا كبيرا لأسفل، يبدو كجبل الثلج الذي لا يظهر منه سوى جزء صغير فوق سطح الماء بينما أكثره مختف لأسفل. لم يكن هناك بد من تأجيل الأمر إلى الغد مع إحضار المعدات المناسبة.

وفي اليوم التالي كان العمال متفرغين تماما بناء على طلبي لعملية إخراج الحجر. أحضروا قضبانا معدنية طويلة لاستخدامها كروافع لإخراج الحجر، وبدأ الحفر.

استمر الحفر لفترة طويلة من النهار، ووصل عمق الحفرة إلى نحو مترين كاملين أسفل مستوى البلاط دون أن نرى نهاية لهذا الحجر.

هبطت إلى الحفرة بنفسي وأخذت أتأمله، كانت هناك نقوش واضحة وغائرة على الجزء المختفي أسفل الأرض، مما رجّح لي فكرة أنه كانت هناك نقوش فعلا على الجزء العلوي منه لكنها مُحيت بفعل الزمن. شعرت بقلق شديد. قد يكون هذا حجرا أثريا، وإذا كان كذلك فعلا فإن هذا سيعرضنا لإيقاف أعمال الإصلاح وربما لخطر نزع ملكية الفيلا باعتبارها تقع على منطقة أثرية، وربما تكون هناك مسئولية جنائية إذا تخلصنا من الحجر ولم نقم بإبلاغ الجهات المختصة. لا أعرف ماذا أفعل. إن حيازة الآثار في مصر تعتبر جريمة، وسأتعرض للمساءلة إذا تم اكتشاف هذا الحجر عندي، كما سأتعرض للمساءلة أيضا إذا تخلصت منه وكانت له قيمة أثرية. لم أعد أعرف ماذا ينبغي أن أفعل. لكن لا، يجب أن يخرج هذا الحجر من البيت بأي شكل، وجوده هنا وضع غير طبيعي، ويجب أن تعود الأمور لطبيعتها في هذه الفيلا.

سأؤجر سيارة نقل وأنقله إلى الصحراء وألقيه هناك، أو لعله من الأفضل أن ألقيه في النيل من فوق أي كوبري. لكن كيف

وشيء كهذا يحتاج إلى عشرة رجال ليزحزحوه من مكانه؟

فلنفكر في حل لهذه المشكلة فيما بعد، لكن الآن يجب أن نخرج هذا الحجر من المكان.

خرجت من الحفرة وطلبت منهم مواصلة العمل، ووعدتهم بمكافأة إضافية إن تمكنوا من زحزحته من مكانه اليوم. ويبدو أن سيرة المكافأة قد فعلت فعل السحر في إلهاب حماسهم، حيث هبط اثنان منهم إلى الحفرة وبدءا في توسعة الحفرة قليلا، ثم حاولا زحزحة الحجر باستخدام القضبان الحديدية.

كان الأمر صعبا، لكنهما استماتا لتحريك الحجر. هبط إليهما عاملان آخران لمد يد المساعدة، وبعد الكثير من "الهيلا هوب"، رأيت الحجر يتزحزح قليلا من مكانه، وقد صاحب هذا الأمر صوت طرقة مكتومة. ترك العمال الحجر وهللوا فرحا، وهللت معهم أنا أيضا، لكنه فجأة بدأ يغوص وحده إلى أسفل، وشعرت بالأرض تهتز، وكانت الفيلا نفسها تهتز وقد بدأ التراب يسقط من السقف على رؤوسنا. صرخ العمال وقفزوا من الحفرة، وهرولنا جميعا إلى خارج الفيلا، بينما كان التراب لا يزال يتساقط من السقف.

***

وفي الخارج كان الانهيار هائلا. بدأ البيت يترنح وجدرانه تتقعقع وأحسست أنه يهبط إلى أسفل قليلا كأنه عملاق هائل يبرك على ركبتيه، ثم تهاوت الجدران واندفع السقف إلى الشارع وهو يدور حول نفسه نصف دورة ليسحق مجموعة من السيارات التي كانت تركن أمام الفيلا، وفي اللحظة التالية لم يعد من الممكن رؤية أي شيء، كان التراب يصعد إلى عنان السماء ليعمي العيون ويزكم الأنوف.

كان الناس قد بدءوا يتجمعون في مجموعات حول موضع الحادث، وانتشر الصراخ والبسملة والحوقلة في كل مكان. وعند انقشاع جزء من التراب رأيت مئات الناس المحتشدين في نوافذ وشرفات الأبراج المجاورة والمقابلة للفيلا. آلاف الأعين التي تراقب الحدث. كان الأمر يشبه حفل تأبين عملاقا لموت البيت الذي كان يأوينا والذي شهد كل أحداث حياتنا.

كان صوت سارينات الإسعاف وسيارات الشرطة يدوي آتيا من بعيد، وكنت قد بدأت أشعر بألم مذهل في صدري، في قلبي تحديدا. كان هناك شيء ثقيل جدا في مكان القلب يهوي لأسفل. كأن حجرا يهوي بداخلي ويضغط على أحشائي. أمسكت صدري بيدي الاثنتين وسقطت على الأرض أتلوى من الألم. أثار سقوطي أكوام الغبار التي

تراكمت أشبارا على الأرض فصعدت إلى أعلى مرة أخرى.

كانت عيناي مغلقتين بقوة من شدة الألم، حاولت أن أفتحهما عنوة لعلي أستطيع الاستنجاد بأحد. رأيت الناس من خلال الغبار وقد التفوا حولي محدّقين بي في إشفاق. أدركت أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا لي شيئا!

حسن الجندي

أشباح المنزل الجديد



(حسن الجندي)، كاتب وروائي مصري اشتهر بتقديم أدب
الرعب الثقيل المباشر الذي يتحدث عن الشياطين والجن
والغيبيات، حقق شهرة واسعة بعد روايته المخيفة

(مخطوطة ابن إسحق)؛ والتي نجحت بسلب النوم من عدد كبير من القراء...

نلتقي هنا مع قصة جديدة مخيفة كُتبت خصيصًا لـ(حكايات غريبة)، تحمل نفس أسلوبه المميز، وتدور أحداثها في (الكويت)...!

القصة يتم تحويلها حاليًا إلى عمل درامي ضخم ضمن مجموعة أعمال تم تحويلها دراميًا من سلسلة قصص حكايات غريبة.

1

ينظر «خالد» بطرف عينيه إلى شاشة هاتفه المحمول ليعرف الوقت، لم يستطِع أن يمسك الهاتف بيديه؛ لأنه يقود سيارته؛ لذا فقد علّقه على تابلوه السيارة واكتفى بالنظر إليه بين فينة وأخرى وهو يراجع في عقله برنامج اليوم، الآن يتجه إلى شقته الجديدة في محافظة «حولي» بالكويت.

الحقيقة أنها ليست المرة الأولى له في الانتقال؛ فهو دائم التنقُّل في السنوات الخمس الأخيرة بين الشقق والمنازل المختلفة داخل محافظته التي ولد بها نفسها، حتى إن الأمر أصبح كهواية لا أكثر، ولم يعُد يصاب برهبة الانتقال أو أزمة نقل الأثاث من مكان لآخر، لدرجة أن شركة نقل الأثاث التي يتعامل معها تعتبره عميلًا مميزًا وتقدم له عروضًا خاصّة، وهاهو يسير بالقرب من سيارات نقل الأثاث الضخمة ليشرف بنفسه على نقله وتركيبه.

لكنه انشغل فجأة ببضعة أمور جانبية تضخمت في عقله، مثلًا: لاصقة النيكوتين التي يضعها في أعلى كتفه قاربت صلاحيتها على الانتهاء بعد مرور ما يقرب من 24 ساعة وعليه تغييرها، لكنه نسي شراء لاصقات أخرى، منذ بضعة أشهر لا يتذكر عددها قرر التوقُّف عن التدخين.

لم يكُن مدخنًا شرهًا، لكنه عرف في الوقت نفسه أنه يدخِّن للتسلية أو لمكافحة الملل؛ لذلك اتخذ قراره بالتوقُّف عن السجائر للمرة الألف في حياته، والتزم ببرنامج متقطع يعتمد التقليل من التدخين وتناول العلكة ولاصقات النيكوتين، لكنه علم أن قرارات التوقف عن التدخين هي الأخرى لكسر الملل وزيادة عامل التشويق، وربما عاد إلى السجائر ثانيةً بعد شهر على الأكثر أو ساعات إن أراد.

ثانية الأفكار التي تضخمت بعقله هي موعد عمله في الجريدة، حقيقي أن الساعة الآن السابعة صباحًا وأن وجوده في الجريدة لن يكون قبل التاسعة، لكنه حمل هم ازدحام شوارع «حولي»..

يحتاج إلى تغطية خبر عن حادثة بمحافظة «الجهراء»؛ فهو يعمل بقسم الحوادث، والمشكلة ليست في الذهاب إلى منطقة بعيدة، لكن في ترك «حولي».

المسألة أقرب إلى طفل في الخامسة يترك أمه ساعات يتسرب معها إحساس بعدم الأمان أو بعدم الراحة على الأقل، حملُه همَّ هذا التنقل جعله ينظر حوله إلى الشوارع الصامتة الهادئة يتأمَّلها كأنه يودعها، شعر بعد لحظة بسخف شديد من أحاسيسه الطفولية فابتسم ساخرًا من نفسه وهو يلمس شاشة هاتفه المحمول ليعيد نظام الملاحة الآلية

(G.P.S) إلى الواجهة ليتأكد من مسلكه، هاهو يقترب من منطقة «الزهراء» جنوب «السرة» وبقيت بضع دقائق تفصله عن شقته الجديدة.

توقفت سيارة «خالد» أمام العمارة الصغيرة ونزل منها جريًا ليدخل شقته التي اختارها في الطابق الأرضي ليفتحها وينتظر دخول العمال حاملين الأثاث؛ لأن سيارات النقل وصلت بعد وصوله بدقيقة؛ لأنهم اعتمدوا على الـ«G.P.S» مثله.

الشقة ليست بالواسعة ولا بالضيقة، هي تناسب تقريبًا عائلة من 4 أفراد بصالة استقبال واسعة وغرفتين للنوم وغرفة للطعام، وعلى الرغم من أنه يعيش وحيدًا فإن تلك المساحة تناسب أثاثه ونمط حياته القديم، بالإضافة إلى المدخل الخاص للشقة الذي يؤمن له نوعًا من الاستقلالية يحتاج إليه نفسيًا.

انتهى العمال من وضع الأثاث وأشرف هو بنفسه على وضع غرفة النوم وترتيبها وتجهيز المطبخ بالأجهزة الكهربائية، الذي كانت مساحته أقل من توقعاته، من حيث استيعاب أجهزته، لكنه أدى الغرض.

انتهى العمال ونفحهم «خالد» بكثيرٍ من الإكراميات التي تُشعره بالراحة وتشعر العمال بالسعادة، بينما سلَّمه رئيسهم

الأوراق المطلوبة للتوقيع بالتسلُّم فوقَّع باسمه: «خالد سليمان قاسم»، وهو اسم مميز يعتبره هبةً من السماء لصحفي، فالأسماء في الأعمال الإعلامية من الممكن أن تختصر كثيرًا من المسافات في التواصل مع الجميع إن كان اسمًا له وقع مميز كـ«خالد قاسم»، على الرغم من أن عائلته لا تتميز بالسلطة أو المال، لكن وقع الاسم يكفي جدًّا.

وقف وسط صالة الاستقبال ينظر إلى مائدة السفرة ذات المقاعد الثمانية التي لا يحتاج إليها، لكنه ظفر بها من زواجه الفاشل، وإلى الأريكة الوثيرة وما يحيط بها من مقاعد كبيرة، فكَّر قليلًا في أن عائلة زوجته السابقة كانت كريمة معه وتركوا له الأثاث بكل تعفُّف، حتى زوجته كانت مثالًا للأدب والذوق.. سار في الشقة محاولًا تذكر وجه طليقته لكنه فشل، حاول تذكر أي شعور جميل يربطه بها فلم يجد، ولو حاول أكثر لكان منافقًا، فالزواج والطلاق لم يضيفا أو يلغيا أي شيء من حياته، لكنه ابتسم رغمًا عنه وقد تذكر الأطباق اللذيذة التي أعدتها زوجته.. نعم، هذا ما يتذكره من الزواج.

أنهى جولته في الشقة وعلق حقيبته الجلدية التي بها الكمبيوتر المحمول على كتفه وغادرها.

***

- يجب تجديد شباب الجريدة.

قالها رئيس التحرير وهو يجلس متوترًا في مقعده على رأس منضدة الاجتماعات الطويلة الممتلئة بالجالسين نصف النائمين، وفي أحد المقاعد يجلس «خالد» ممسكًا قلمًا وورقة يمثل الاهتمام والجدية بينما بداخله يصرخ ضحكًا ممَّا يراه.

فرأيه الشخصي يتلخَّص في أنه الآن في أحد المشاهد السخيفة في الأفلام العربية، حيث يجلس رئيس تحرير جريدة يتناقش في سبل تطوير الجريدة التافهة، دعك من أن الجالسين حول المنضدة يطلقون على هذا الاجتماع لفظة «meeting» على الرغم من أن أغلبهم لا يفقه من الإنجليزية إلا بضع جمل يرددها في كل مكان باعتباره مثقفًا، أما رئيس التحرير فهو دائم الشكوى ودائم التحفيز، يتحدث كل فرد من الجريدة بكلام لا يقتنع به ولا يلقي له بالًا عن أهمية الصحافة ووجوب اتخاذ طرق جديدة لتقديم الأخبار للقراء... إلخ إلخ إلخ، وكل مرة يخرج الجميع من الاجتماع بلا هدف.

- أتحدث هذه المرة بجدية.

قالها رئيس التحرير فمنع «خالد» ابتسامته، لكن الرجل أكمل كلامه:

- لن تصدر الجريدة أسبوعيًا بعد الآن، ستصدر شهريًّا.

تحفَّز الجالسون ومعهم «خالد» الذي شعر بالقلق لأول مرة في حياته داخل هذا النوع من الاجتماعات الهزلية.

- لن نكذب على أنفسنا، مرت سنوات طوال بلا أي مبيعات حقيقية للنسخة الورقية من الجريدة، بصفتي رئيس التحرير قررت الاهتمام بالموقع الرسمي للجريدة وأن نضع كل ثقلنا عليه، سنستعين بشباب تحت التدريب بمرتبات لا تُذكر ليديروا بعض الأبواب الجديدة التي ستجذب شرائح أقل سنًّا من متابعينا، سيضيف الموقع الإلكتروني الأخبار يوميًا، حتى لو اضطر إلى نقلها من جرائد ومواقع أخرى..

اعترض أحد الجالسين بأدب:

- لكننا سنفقد تميزنا.. وربما نفقد القراء.

- أنت لا تخشى فقدان القراء.. لا تخَف، فلن نتخلّى عن طاقم الجريدة.

قالها رئيس التحرير بنصف ابتسامة، فظهر الارتياح على وجوه الجالسين، لكنه أكمل كلماته بنوع من البرود:

- لكن لا أضمن في المستقبل أن نتخلّى عن بعض الأبواب الصحفية ومحرريها، أو ربما استبدلنا بهم؛ فالوضع تغيَّر الآن.

عاد القلق يتراقص على وجوه الجالسين، ترك «خالد» القلم والورقة وهو يجاهد ليقول لرئيس التحرير بطريقة تبدو عادية:

- هل هناك تغييرات حاليَّة في طريقة تغطية الأخبار؟

- جيد أنك فتحت هذه النقطة يا «خالد»، هل ستغطي أي أخبار مُهمَّة هذه الأيام؟

- بعد الاجتماع سأذهب إلى «الجهراء» لتغطية حادثة قتل.

- وحدك دون مصور فوتوغرافي، سنستخدم مصوري الجريدة في استخدامات أخرى، عليك أن تستخدم كاميرا هاتفك المحمول لتلتقط بضع صور جيدة وتعدِّل ألوان الصور لتقترب من التصوير الاحترافي، هل تفهم كلماتي؟

هز «خالد» رأسه بالموافقة، لكنه أظهر ارتباكًا أكثر من اللازم، فأكمل رئيس التحرير:

- ستحتفظ براتبك الشهري كما هو، لكن مصاريف انتقالك سنقللها أكثر من المعتاد، لن تغطي الجريدة أي مبيت لك في المستقبل أنت أو بقية الصحفيين، ولن تغطي أي مصاريف أكثر من الانتقال والعودة، وبعد ثلاثة أشهر يُقيِّم ما قدمته للجريدة والمصاريف التي استهلكتها، وبهذا التقييم سيقرَّر لك أو لأي صحفي أو محرر تخفيض الراتب أو الانتقال إلى

قسم جديد.

لم تكُن الإجابة مريحة، بل زادت البلبلة وسط الجميع، لكن رئيس التحرير أنهى الاجتماع فجأة ونهض كأنه يهرب من أي أسئلة جديدة، بلا شعور ألقى «خالد» في داخله شتائم على رأس رئيس التحرير، وإن كان يعلم أن وجوه الحاضرين هي الأخرى تكيل الشتائم بلا صوت لهذا الرجل المجنون الذي يهدد أعمالهم بتلك السهولة وبلا تخطيط.

نهض وترك الغرفة وهو يفكر جديًّا في البحث عن جريدة أخرى، لكن كم عدد الجرائد في «الكويت»؟! وكم منها يحتاج إلى صحفي حوادث في العقد الثالث من العمر؟ مشكلته أنه تخطى عمر الشباب الممتلئ بالطموح والشغف وتحول إلى رجل ناضج يريد الاحتفاظ بعمله لا أكثر.

دخل أقرب دورة مياه بالجريدة وأغلق على نفسه الباب وهو يخلع قميصه الأبيض ليكشف عن كتفه اليسرى، أخرج لاصقة النيكوتين الجديدة التي اشتراها في طريقه إلى العمل، نزع القديمة بقوة فلم يشعر إلا بالقليل من الألم ثم وضع الجديدة وهو يفكر في شراء علبة سجائر، هل يشتريها في طريقه الطويل إلى «الجهراء»، أم ينتظر أيامًا أخرى؟ هل فعلًا يشعر بحاجة زائدة إلى النيكوتين بسبب التوتر، أم أن عقله يلهو لا أكثر؟!

عدَّل من ملابسه وقرَّر أن يؤجل شراء علبة السجائر فترة طويلة وهو يسير مسرعًا مغادرًا الجريدة إلى سيارته وهو يتصل بمصدره الذي يعرفه منذ سنوات في إدارة البحث والتحرِّي بـ«الجهراء»، النقيب «سعد حمود» الذي وعده منذ الأمس بتغطية خبر جريمة القتل، لم يرد على هاتفه في المرة الأولى، لكن في الثانية سمع صوت «سعد» يأتيه ضاحكًا على الجانب الآخر من الهاتف المحمول:

- «خالد»، لا أستطيع مكالمتك الآن؛ فهناك كثير من الأعمال على رأسي.

كانت البشاشة والضحكات تحيط بـ«سعد» دائمًا حتى لو كان يبلِّغ مَن حوله بمصيبة، ربما كان لطبعه نصيب من اسمه.

- أنت وعدتني يا سيادة النقيب بلقاء حصري اليوم، سأكون عندك في الإدارة بعد أقل من ساعة من الآن.

- لن أكون في الإدارة.. هل تنتظرني بضع ساعات إن أمكن؟

قبل أن يرد «خالد»، قال «سعد» بسرعة:

- لا لا لا.. عندي فكرة ستعجبك، ما رأيك أن تقابلني في موقع الحادث الذي ستكتب عنه؟

- احم.. سيادتك تعلم أنني لا أفضِّل الوجود بجوار الجثث.

ضحك «سعد» على لا شيء وقال:

- وهل سنترك الجثث من الأمس حتى تتعفن؟ لقد نقلناها. اسمع، سأرسل لك العنوان برسالة هاتفية، هل تعرف المنطقة الصناعية بـ«الصليبية»؟

- لا.

- لا يهم، موضع الحادث بمستودع تخزين، سأرسل لك رسالة بتفاصيل الوصول إليه.

قال عبارته وأغلق الخط.

على الرغم من روحه المرحة، فإن النقيب «سعد» يفرض سلطة على مَن يتعامل معه، وهو يحب «خالد» فعلًا بسبب ضعف شخصيته أمامه ورضوخه لكل ما يقول، و«خالد» يفهم تلك النقطة ويُظهرها كثيرًا لـ«سعد» ليحافظ عليه بوصفه مصدرًا جيدًا للمعلومات.

***

2

وصل «خالد» بصعوبة إلى منطقة مستودعات تخزين، تقريبًا لا تسير السيارات بجانبها، المشكلة أنه حاول الوصول عن طريق «G.P.S»، لكنه فشل؛ فاضطر إلى الاعتماد على وصف بدائي للعنوان الذي أرسله «سعد» ثم الاتصال به حتى يصف له بدقة أكثر.

بعد قليل، وصل إلى المستودع الذي وقف أمامه «سعد» ينتظره مبتسمًا وهو يصيح:

- العنوان بسيط يا رجل، لا سبب يدعو إلى كل هذا التيه!

خرج «خالد» من سيارته وهو يقول حانقًا:

- ألم يكُن من الأسهل أن ترسل لي موقعك على «G.P.S»؟!

- بوصفي ضابط أمن، لا أفضِّل هذه التقنيات.

قالها «سعد» وهو يدخل المستودع و«خالد» يلحق به وهو يفكر في سخف عبارته عن ضباط الأمن.

وقف هذا الأخير على بوابة المستودع يحرِّك نظره فيه بدهشة، ليجده واسعًا وخاليًا، تتدلَّى مصابيح قوية من السقف تنيره حتى في وقت الظهيرة؛ لأن شعاع الشمس كان يتسلَّل بداخله ليُسهم في تقوية الإضاءة.. أربعة رجال قدَّر

«خالد» أنهم متخصصون في المختبرات الجنائية يفعلون شيئًا ما على الأرض، بينما سبعة رجال تتباين ملابسهم بين الزي الرسمي للشرطة والزي التقليدي العادي يقفون، وأحدهم يشرح للآخرين شيئًا ما باهتمام.

- ادخل يا «خالد»؛ فقد انتهينا تقريبًا.

خطا «خالد» بحذر وهو ينظر إلى موضع قدميه، وبخاصة بعد أن لاحظ آثار دماء متناثرة في مواضع على الأرض والحوائط.

- ألم تحضر مصورًا فوتوغرافيًا؟

قالها «سعد»، فاقترب «خالد» وهو يُخرج هاتفه المحمول ويقول:

- سأتولى أنا التصوير، لا تقلق.

- إذًا، ابدأ التصوير يا صديقي.

بارتباك واهتزاز واضح، التقط «خالد» صورًا عشوائية لرجال المعمل الجنائي وبعض الصور العشوائية، حتى جاءه صوت «سعد» المتحمس يقول:

- كثير من الجرائد أخذت إفادات تتعلق بتلك الجريمة، لكن أنت الوحيد الذي سمحنا له بتصوير مسرح الجريمة، وفوق

هذا سأزودك ببعض الصور التي سمحت بها إدارات الأمن.

- إدارات؟

- نعم، أنت تقف في مسرح جريمة تتشارك في تحقيقاته خمس إدارات أمنية.

انفتح فم «خالد» دهشةً بلا سيطرة منه و«سعد» يقول:

- ما ستعرفه الآن لن تنشره، فيما بعدُ سأخبرك ما المسموح بالكتابة عنه.

أنهى عبارته وهو يسير إلى داخل المستودع بفخر وهو يباعد بين يديه بحركة مسرحية كأنه يروي لصديقه قصة طريفة:

- أمس الأول، وقعت جريمة قتل في هذا المكان.

- أتوقع هذا.

- لكن هل يمكنك توقع كم شخصًا قُتل؟

- سمعت أنهم أكثر من ثلاثة أشخاص.

ابتسم «سعد» أكثر وقال:

- تسعة رجال.

نظر إلى وجه «خالد» ليرى الدهشة التي انتظرها ترتسم

عليه وأكمل:

- اكتشفنا الجريمة صباح أمس، القتل تم بأعيرة نارية، المسألة كأنها حرب.. أو تظهر في البداية كتبادل إطلاق نيران بين فرقتين عسكريتين، جثث متناثرة في كل مكان لرجال يحملون مسدسات غير مرخصة، عدا أن القاتل كان رجلاً واحدًا.

- أتصف فيلمًا أجنبيًّا؟!

ضحك «سعد» بطريقته الغريبة المفتعلة دائمًا وقال:

- نشِّط خيالك يا «خالد»، قاتل يدخل من باب المستودع يُخرج مسدسًا بكاتم للصوت ويقتل 9 رجال مسلحين بـ14 رصاصة فقط ومن دون أن تطيش رصاصة واحدة؛ لأن بعض الجثث دخلت فيها طلقتان، ولا دليل واضح على إصابته؛ لأن هناك رصاصات طائشة ضربها أربعة رجال قبل مقتلهم.

أشار «سعد» إلى أحد الرجال وطلب منه ملفًّا يحمله فأعطاه إياه، أخذ الملف واقترب من «خالد» وهو يفتحه ليريه بضع صور فوتوغرافية للمستودع الممتلئ بالجثث، أبعد «خالد» عينيه قليلًا وإن حاول النظر بصعوبة إلى الصور التي يحركها «سعد» الذي شعر بمزيد من السعادة عندما رأى اشمئزاز «خالد».

- لا تخف من الجثث؛ فهي غير مشوهة.

هزَّ «خالد» رأسه بلا معنى وهو يزيح الملف عن وجهه قليلًا، بينما «سعد» يبتعد مكملًا بصوته الرنان:

- لكننا اكتشفنا شيئًا أهم.. هذا المستودع لم يكُن خاليًا حين تمت جريمة القتل، هناك شاحنات ضخمة أخرجت ما به قبل الفجر.

- مَن قتلهم سرق بضائع؟

- جريمة القتل حدثت في التاسعة مساءً تقريبًا، أما الشاحنات فقد تتبعنا خروجها من منطقة المستودعات عن طريق كاميرات مراقبة بالقرب من هنا عند الرابعة فجرًا.

- ما البضاعة التي تُرتكب بسببها تلك المذبحة؟

- سأخبرك، لكن أخبرني، هل تشرب معي قهوة؟

***

مقهى صغير بجانب منطقة المستودعات لا يحمل طابعًا مميزًا، بل هو خليط من مقهى ومطعم لوجبات خفيفة سيئة الطعم، لا يجلس فيه كثيرون، لكن «خالد» استمتع بطعم القهوة على الرغم من كل شيء وهو يستمع إلى «سعد» الجالس بأريحية يتحدث بجدية بعيدًا عن ابتسامته التي لا

معنى لها:

- عندما اكتشفنا جريمة القتل ظهرت بعض الخيوط حين علمنا أن إدارة مكافحة المخدِّرات كانت ترصد حركة خمسة رجال مِمَّن قُتلوا، منذ أسابيع، وهناك قضية كبيرة تتعلَّق بتهريب مخدِّر الكوكايين وتداوله داخل «الجهراء».

- صراع تجار مخدِّرات؟

- هذا ما توقعناه في البداية، المستودع مخزن فيه مخدِّرات بيضاء تحت حراسة مجرمين، يسطو عليهم بعض المجرمين ليسرقوا المستودع بعد قتلهم، لكن بعد تعاون الإدارات الأمنية بالأمس رسميًا في التحقيق ظهرت معلومة من إدارة مكافحة المخدِّرات، من مصدر لهم داخل التنظيم المسؤول عن التهريب الذي يتبع له مَن قُتلوا.

- تقصد العصابة؟!

ابتسم «سعد» بقليل من السخرية وهو يقول:

- نعم يا «خالد».. العصابة، علمنا أنهم اكتشفوا مقتل رجالهم في المستودع فنقلوا المخدِّرات ولم يقدروا على نقل الجثث خوفًا من عدم القدرة على التخلُّص منها، كما أن المصدر قال إن مَن قتلهم هو قاتل محترف استُؤجِر من أحد أعدائهم، قاتل أسطوري لا وجود لمثيله إلا في الكتب البوليسية

الخيالية.

- ألا توجد خيوط للوصول إليه؟

استرخى «سعد» بمقعده وهو يعود إلى جديته:

- الحقيقة أنه ترك لنا بعض الأدلة الجنائية في مسرح الجريمة.

- إذًا فليس قاتلًا خياليًّا كما تصورته.

- ترك بصمات لحذائه.

- ماذا؟

- لا تندهش.. نعم، في بعض الأحيان نستطيع أخذ قالب لموضع قدم نراه في مسرح الجريمة، وقد وجدنا بصمات الحذاء خارج المستودع وداخله منطبعةً بقليل من الدماء فعرفنا أنها للقاتل.

- دماء مَن قُتلوا؟

- نعم.

- أنت قلت إن بقية العصابة جاءت لنقل المخدِّرات، ربما أحدهم.

- لا؛ فنحن نقصد دماء القاتل المحترف نفسه.

هز «خالد» رأسه كأنه يحاول التركيز فقال «سعد» مسرعًا:

- أعرف ما تفكر فيه، أنا قلت لك إن القاتل لم يُجرَح، الحقيقة أننا بالأمس اكتشفنا لطخات دماء بمسرح الجريمة تشبه نمط جرح رصاصة بأسفل البطن، لكن أحد الأطباء الشرعيين اكتشف أن هناك تلاعبًا بتلك الدماء، لن أطيل عليك يا صاحبي، سأوضح لك ما حدث.

اقترب من «خالد» وخفض صوته وهو يقول بجدية شديدة بعينين متسعتين:

- القاتل استخدم مضخة صغيرة ملأها بالدماء المحفوظة بطريقة التبريد، ورشَّ الدماء بطريقة توحي بإصابته.

- لكنه طبع بحذائه في تلك الدماء عن غير قصد؟

- للأسف، فحذاؤه ليس طبيعيًا، فقد قدر المعمل الجنائي أنه كحته وأزال العلامات من أسفل حذائه، ثم نحت علامات جديدة بيديه.. باختصار: نحن أمام قاتل محترف من طبيعة مختلفة عنا، يفكر بأساليب تختلف عن نمط المجرمين المعتادين.

- هل من المحتمل أن يكون له خبرة عسكرية؟

- لا أعتقد.. الاحتمالات كلها مطروحة، حتى إننا وضعنا

احتمال أنه أجنبي وغير مقيم أصلًا في الكويت.

وضع «خالد» كوب القهوة أمامه على المنضدة الصغيرة وهو ينظر إلى الأرض مفكرًا.

- ما الذي يدور بعقلك يا «خالد»؟

أجابه دون أن يرفع رأسه:

- أفكر في أنك لن تحكي لي كل تلك التفاصيل التي أرى أنها غير قابلة للنشر إلا لسببٍ ما، وأتخيل أن السبب ليس لصداقتنا أو لمجرد أنك رجل ثرثار يتسلَّى بقضاء جزء من وقته مع صحفي بجريدة غير مُهمَّة.

قفز الإعجاب من عيني «سعد» وهو يقول بالصوت الخافت نفسه:

- كنت أعلم أن شخصيتك الهادئة تغلف ذكاء من نوع خاص تخفيه عن الجميع، نريد تعاونك.

- تريدني أن أكون طُعمًا لاجتذاب قاتلكم؟

- ليس بهذا المعنى، هناك كثير من المعلومات التي لم أصرِّح لك بها، وبناءً على تلك المعلومات نحتاج منك إلى أن تعلن عن نشر مجموعة من التحقيقات الصحفية يوميًا في عدد من الجرائد سنسهل لك التواصل معها، تخبر القراء

أنك ستنشر تباعًا معلومات خطيرة عن تلك القضية وعن تطوراتها يوميًا، سنمدك بالمعلومات المطلوبة لتحفِّز القاتل على مراقبتك ليصل إلى ما تمتلكه من معلومات، ولا تخفَ، نحن...

قاطعه «خالد»:

- لا.

- أعلم أن ما أطلبه منك ســ...

- آسف سيدي النقيب، لكني أعتذر، وهذا من حقي.

ظهرت خيبة الأمل على ملامح «سعد» وهو يقول:

- «خالد»، هذه ليست أول جريمة من هذا النوع، سأضطر أن أخبرك بأن هذا القاتل ارتكب مجموعة من الجرائم السابقة بالكويت، وبعضها راح ضحيتها أبرياء من الشباب والنساء، يصعب علينا متابعته، لكننا علمنا...

- أرجوك، لا أريد أن أعرف المزيد.

نظر «سعد» حوله ليتأكّد أن لا أحد من رواد المقهى يتابعه، ثم أخرج هاتفه المحمول وفتح معرض الصور بداخله وهو يقلب فيها ويقول:

- لثقتي بك، سأريك ما لم يجب أن أظهره لأي شخص.

نهض من جلسته وجلس بجانب «خالد» مقربًا هاتفه المحمول وهو يُريه صورة ملتقطة من ملف لامرأة في الأربعين نائمة على فراشها مذبوحة والدماء تتناثر حولها.. أدار «خالد» وجهه مبتعدًا فقال «سعد»:

- الجرائم التي خلَّفها هذا القاتل تعود إلى سنوات طويلة.

قلب «سعد» الصور ليظهر شابٌّ في العشرين ملقى بلا ملابس في منطقة صحراوية وأثر رصاصة نافذة في عينه اليسرى:

- انظر وافهم ما نتعامل معه، قاتل مجنون يعيش وسطنا يؤجِّر من الإنترنت المظلم (dark web) ويتعامل بعملات إلكترونية لا يمكن تتبعها، من أراد قتل أي شخص يكلفه بكل سهولة.

نظر «خالد» بطرف عينيه إلى الصورة ثم أبعد وجهه ثانية و«سعد» يكمل:

- عرفنا كثيرًا عنه، لكن لم نستطِع التوصُّل إلى بصمة إلكترونية له، عرفنا الموقع الذي يُستأجَر منه، لكننا فشلنا في الوصول إليه، أنت السبيل الوحيد لنا.

- سيد «سعد»، أرجوك لا تضغط عليّ، أنا جبان ولن أشترك

في كمين أمني تكون فيه حياتي على المحك.

- لم ولن أنعتك بالجبن.. بالعكس، أنت رجل عاقل وكل ما تفكر فيه منطقي.

- اعذرني فيما سأقول، لكن تلك الطريقة في استدراج قاتل صبيانيَّة بعض الشيء، وربما اكتشفها.

- إن قبلتَ بالتعاون سنطلعك على الكيفية التي سنجذبه بها.. كما قلت سابقًا، نحن نعلم كثيرًا.

تحفَّز «خالد» في جلسته وهو يتجنَّب النظر إلى عيني «سعد» محرجًا وهو يقول:

- ما زلتُ عند رأيي، لن أشترك في شيء أكبر مني، ناهيك عن عدم ثقتي بجدوى الطريقة.

- عندي حل يريحك.. سأتركك ثلاثة أيام تفكر بعقل صافٍ فيما يمكن أن تقدمه لنا ونتقابل ثانية.

- سيظل رأيي كما هو، صدِّقني.

- لا أطلب منك سوى أن تفكر قليلًا فيمن قُتلوا، وبعد ثلاثة أيام سأنتظر اتصالًا منك، وأنا أثق باختيارك.. ولحين هذا الوقت، لا تنشر شيئًا عن الحادث، اتفقنا؟

هز «خالد» رأسه إيجابًا باستسلام وحبات عرق بدأت تنمو

على جبينه، على الرغم من مكيف الهواء.

***

الشقة الجديدة التي تحمل رائحةً ما أدركها «خالد» فور دخولها عائدًا من الجريدة، رائحة الانتقال، الجميع يشم تلك الرائحة عند انتقاله إلى مكان جديد، ربما كان إيحاءً نفسيًا، لكنه اعتاد شمها دائمًا، وضع الكيس الذي يحمله على مائدة الطعام في صالة الاستقبال، الوجبات السريعة ليست من شيمه، لكنه مضطر إليها اليوم فقط حتى يتأقلم على الشقة، إضافة إلى أنه لا يحمل الآن المزاج المناسب لطبخ وجبة طعام منزلية بعد ما رآه في مكان الجريمة.

وضع حقيبة كتفه الجلدية على أحد المقاعد ثم فض الكيس وجلس يتناول طعامه بملابس الخروج وهو يفكر فيما رآه اليوم، تذكر أنه نسي إحضار زجاجة مياه من المطبخ فنهض متثاقلًا متجهًا إلى المطبخ، لكن الأمر التبس عليه ووجد نفسه يقترب من دورة المياه المظلمة، أشعل مصباحها وتأملها بسرعة ثم أكمل طريقه إلى المطبخ ليخرج زجاجة مياه معدنية من صندوق صغير بأطراف أصابعه الملوثة بالطعام.

هنا سمع صوت تحرُّك أكياس من خارج المطبخ، أخذ الزجاجة معه وهو يخرج إلى صالة الاستقبال فلم يجد شيئًا،

نظر حوله جيدًا ثم تأكد من أن الكيس البلاستيكي على المنضدة لم يتحرك.

- ألعاب العقل!

قالها وهو يعود إلى الجلوس فاتحًا زجاجة المياه الساخنة ليشرب منها، رفع الزجاجة على فمه وأخذ يتجرَّع منها، وبسبب وضعية شربه ارتفع رأسه للأعلى قليلًا فوقعت عيناه على مكيف الهواء المعلق أمامه على الحائط، الماء الساخن يتسرب لجوفه ببطء وفكرة غريبة تنبض بعقله..

مكيف الهواء يعمل! من فتحه؟

نهض من مكانه وهو ينظر إلى باب الشقة يتذكر دخوله وحركاته وهل أشعل مكيف الهواء ونسي!

الإجابة كانت سهلة، «ريموت» التكييف لا يراه حوله، مسح يده بمنديل ورقي جاء مع الطعام وهو ينظر إلى المكيف بثبات ثم فتح درج دولاب الفضيات الموضوع بجانبه، وجد «الريموت» بداخله؛ فقد وضعه اليوم صباحًا في أثناء نقل الأثاث.

هل ما يشمه منذ أن دخل الشقة رائحة المكان الجديدة، أم هي رائحة أخرى؟! اشتم الهواء من حوله، لا شيء غريب، هي رائحة اعتيادية استنشقها من قبل.. لكن لحظة.. أين

استنشقها؟ هل يشم رائحة دماء؟

***

3

يقطع الطرقات بسيارته بلا هدف، يفكر: هل ما رآه في شقته منذ دقائق مجرد خيال أم شعور بالذنب بسبب كلمات «سعد» وإصراره على عدم التعاون معه؟

لم يشعر بنفسه إلا وهو أمام مجمع استهلاكي بسيط، فتوقَّف عنده، أقنع نفسه أن ما سيفعله لا يعني أنه ضعيف الإرادة، بل لأنه يشعر بالملل.. اشترى علبة سجائر وقداحة، عاد إلى السيارة ينظر إلى العلبة صامتًا.

- التدخين مضر بالصحة.

قالها وضحك بتوتر، هل حقًّا يدمن السجائر ويخشى من اعترافه بذلك فيصور لنفسه أنه ذو إرادة جبارة ويمكنه الإقلاع عنها في أي وقت؟

تحسَّس العلبة ولعابه يزداد داخل فمه.

طرد الفكرة من رأسه وهو يدير سيارته ويخبر نفسه أنه لن يشرب الليلة، لن يشرب وهو في حالة توتر، سيكافح لآخر ثانية. زاد من سرعة سيارته وهو يقترب من منزله وغضب غير مبرر يتصاعد داخل رأسه، غضب من تصرفه الطفولي عندما غادر الشقة جريًا، غضب من شرائه علبة السجائر، غضب من «سعد»، غضب من رئيس تحرير الجريدة.

توقف أمام منزله فخرج من السيارة حاملًا علبة السجائر وهو يسير بخطوات ثابتة قوية ليدخل من المدخل الخاص لشقته، فتح باب الشقة بقوة ودخلها كأنه يتحدى أي قوى غريبة داخلها، مكيف الهواء يعمل كما هو، والطعام في موضعه، وزجاجة المياه في موضعها.

كيف تصرَّف بتلك الصبيانية منذ قليل؟ تنفَّس بعمق وهو يبعد عن عقله صور الجثث التي عرضها عليه «سعد»، سار مختالًا في الشقة ليثبت لنفسه أن لا شيء يقدر على إخافته..

هل كان سيجد من يؤنسه لو كان متزوجًا؟

وجد الإجابة تتردَّد في عقله، الزواج أكثر رعبًا من أي شيء في العالم.

دخل دورة المياه ليغسل يده ووجهه، اعتصر كتفه اليسرى ألمٌ فجائي فصرخ وهو يمسكها، ليس ألمًا، بل لسعة حرق اختفت بعد استمرارها ثانيتين، حرك يده على كتفه وهو يجري إلى غرفة النوم ويشعل أضواءها ثم يخلع قميصه متأملا كتفه في مرآة دولاب الملابس، هدأ قليلًا فلم يجد ما يريب.

فتح إحدى حقائب ملابسه ليُخرج منها ما يصلح للنوم، ثم

تذكَّر أن لاصقة النيكوتين صغيرة الحجم قد تغيَّر لونها، عاد إلى المرآة وركز بصره على اللاصقة في أعلى كتفه، منظرها يوحي بأنها لُصقت منذ أيام وربما أسابيع، اسودَّت أطرافها وزاد التصاقُها بالجلد، ما الذي حوَّلها إلى هذا المنظر؟ هي لم تكمل 12 ساعة على كتفه!

مد يد لينزعها، لكن أظافره لم تجد طرفًا لها يمكن جذبه، أطرافها التصقت بالجلد كأنها ساحت بفعل الحرارة، خدش طرفها بعصبية بأظافره حتى بان طرفٌ لها، جذبها بسرعة، لكنه صرخ بجنون وهو لم يكمل نزع القليل منها حتى.

صرخ لأنه رأى جزءًا من القشرة الجلدية انتُزعت من كتفه مع اللاصقة، الألم لا يُطاق، والمشهد يرهبه، منظر الجزء الملتهب من كتفه تحت اللاصقة واللون القرمزي لجلده المنزوع أثار معدته وزرع الغثيان فيها.

لا، لن يكمل نزع اللاصقة، سيتركها هكذا حتى يذهب إلى المستشفى، جلس على الفراش يرتعش ألمًا ثم شعر ببعض الهواء البارد مع صوت مميز، ابتسم وهو ينظر إلى مكيف الهواء في غرفة النوم، وضحك، المكيف فُتح من تلقاء نفسه، وفي تلك اللحظة بالذات، دون أن يلمسه.

أكمل ضحكاته وهو يريح ظهره على الفراش ويقول بإرهاق:

تذكَّر أن لاصقة النيكوتين صغيرة الحجم قد تغيَّر لونها، عاد إلى المرآة وركز بصره على اللاصقة في أعلى كتفه، منظرها يوحي بأنها لُصقت منذ أيام وربما أسابيع، اسودَّت أطرافها وزاد التصاقُها بالجلد، ما الذي حوَّلها إلى هذا المنظر؟ هي لم تكمل 12 ساعة على كتفه!

مد يد لينزعها، لكن أظافره لم تجد طرفًا لها يمكن جذبه، أطرافها التصقت بالجلد كأنها ساحت بفعل الحرارة، خدش طرفها بعصبية بأظافره حتى بان طرفٌ لها، جذبها بسرعة، لكنه صرخ بجنون وهو لم يكمل نزع القليل منها حتى.

صرخ لأنه رأى جزءًا من القشرة الجلدية انتُزعت من كتفه مع اللاصقة، الألم لا يُطاق، والمشهد يرهبه، منظر الجزء الملتهب من كتفه تحت اللاصقة واللون القرمزي لجلده المنزوع أثار معدته وزرع الغثيان فيها.

لا، لن يكمل نزع اللاصقة، سيتركها هكذا حتى يذهب إلى المستشفى، جلس على الفراش يرتعش ألمًا ثم شعر ببعض الهواء البارد مع صوت مميز، ابتسم وهو ينظر إلى مكيف الهواء في غرفة النوم، وضحك، المكيف فُتح من تلقاء نفسه، وفي تلك اللحظة بالذات، دون أن يلمسه.

أكمل ضحكاته وهو يريح ظهره على الفراش ويقول بإرهاق:

- المنزل مسكون بروح عامل كهرباء في الغالب!

أغمض عينيه متمنيًا أن يكون متوهمًا لا أكثر.

***

فتح عينيه فجأةً متلفتًا حوله، الغرفة كما هي، وهو نفسه عاري الجذع كما كان، ساعة يده تقول إنه نام طوال الليل وهاهو الصبح قد هلَّ، تذكَّر ما حدث بالأمس فنظر إلى لاصقة النيكوتين في كتفه.

شهق وهو يراها طبيعية، مد يده ونزع جزءًا منها بحذر فانتُزعت اللاصقة بشكل طبيعي.. لا آثار لنزع الجلد أو أي مشكلات تحتها، تنفَّس براحة شديدة ناهضًا من فراشه.

التفسير الوحيد أنه تأثَّر بالأمس ممَّا رآه، كان يفكر في ذلك وهو يستحمُّ في دورة المياه، وقد عاهد نفسه ألَّا يستعمل لاصقات النيكوتين ثانيةً، ارتدى ملابسه وسار في الشقة مرتاحًا.

- لقد كبرتُ في العمر وبدأت أعراض الشيخوخة المبكرة.

قالها كمزحة لنفسه بصوت عالٍ، إلا أنه اكتشفت أنها مزحة لا تُضحك، التقط هاتفه المحمول وفتحه وهو يدندن أغنية قديمة.. توقف عن الدندنة عندما رأى هاتفه من تلقاء نفسه

يفتح تطبيقًا للبحث، ثم تُكتب كلمات في التطبيق من تلقاء نفسها.. كُتب «حادثة قتل المستودع».

مرَّر أصابعه على الشاشة بسرعة ليوقف هاتفه، لكن الهاتف توقَّف فجأة وأظلمت شاشته تمامًا، حاول فتحه بلا جدوى، تلفَّت حوله بخوف كأنه ينتظر هجومًا عليه من شخص لا يراه، جرى إلى صالة الاستقبال ليضع الهاتف في الشاحن الكهربي، بمجرد وضع الكابل في موضع الشحن سمع صوت طنين من قابس الكهرباء في الحائط تبعه رائحة شياط من الهاتف المحمول الذي تصاعد دخان من ظهره، ترك «خالد» الهاتف بسرعة على المائدة وابتعد خطوات للوراء..

انتفخ الهاتف قليلًا وتصاعدت الأدخنة أكثر ثم انفجر بصوت مكتوم مخلفًا لهبًا ناريًا بسيطًا، خلع جزءًا من ملابسه وحاول إطفاء اللهب بسرعة وهو ينزع كابل الشحن من قابس الكهرباء.

ما يحدث له الآن فاق الحد والتوقع، لو كانت الشقة مسكونة فلِمَ رأى هاتفه يبحث عن حادثة القتل؟ هل جُنَّ فعلًا؟

لكن حادثة الانفجار الصغير مادية وتثبت أنه ليس متوهمًا، صحيح أنها حادثة قابلة للحدوث مصادفةً، لكن أهي مصادفة حقًّا؟

عليه ترك الشقة في أسرع وقت والانتقال منها، اليوم سيختار مكانًا آخر للانتقال إليه، جرى إلى غرفة النوم متلفتًا حوله وهو يلتقط ملابس خروج أخرى بسرعة ويغادر الشقة مع حقيبة كتفه.

***

لن نطلق عليه مكتبًا، بل هو ركن صغير بمنضدة على مقاس الكمبيوتر المحمول وخلفها مقعد صغير يجلس عليه «خالد» في إحدى غرف الجريدة، لم يجد مشكلة في هذا الموقع منذ التحاقه بالجريدة؛ فهو على كل حال لا يحتاج إليه كثيرًا، بل يمارس عمله من المنزل أو أي مقهى.

كان يتصفَّح أحد المواقع ليشتري منها هاتفًا محمولًا جديدًا سيُرسَل على عنوان الجريدة، وفي الوقت نفسه يلقي نظرة من وقت لآخر على موقع يعرض شققًا خالية في «الزهراء»، ترك الكمبيوتر وذهب إلى دورة المياه ليعود بعد دقائق ويرى مشهدًا غريبًا.

المحررون والصحفيون بالغرفة يقفون بجانب الكمبيوتر المحمول الخاص به ينصتون إلى شيء ما، جلس على مقعده فوجد موقع «youtube» مفتوحًا وعليه يعمل فيديو يتحدث فيه ضابط أمني مع قناة تلفزيونية عن جريمة قتل

تمت بمستودعات «الصليبية».

- مَن منكم لمس جهازي؟

قالها بغضب، فرد عليه «عدنان»، محرر القسم الثقافي:

- هذا الكمبيوتر أصيب بفيروس، لقد شغل هذا الفيديو من تلقاء نفسه، وقبلها شغل فيديو آخر عن حادثة بـ«الجهراء».

قال آخر:

- لا أعتقد أنه فيروس، ربما خلل في نظام التشغيل، أنصحك بعرضه على قسم «IT» بالجريدة.

أغلق «خالد» شاشة الكمبيوتر ونهض، لكن صوت تحرُّك مقعد «خالد» من مكانه أذهل الجميع.. بمجرد نهوضه تحرك المقعد، فنظر بعض الجالسين إلى مصدر الصوت ليأتي التأكيد إليهم عندما تحرك المقعد حركة محدودة من تلقاء نفسه، ابتعد «خالد» بينما صرخ أحد الجالسين:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. لله الأمر من قبلُ ومن بعد.

وكأنَّ جميع من بالغرفة كانوا ينتظرون عبارة الرجل ليرددوا من خلفه عبارات الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والصلوات الخافتة والمعلنة.. حمل «خالد» الكمبيوتر والحقيبة الجلدية وغادر الغرفة بسرعة وأعين الجميع

تتحرك بينه وبين المقعد، إلا أن «عدنان» لحق به في الخارج وهو يستوقفه:

- اذكر الله في قلبك يا رجل وتوقف.

استند «خالد» متحفزًا إلى أحد الجدران وهو ينظر في عيني «عدنان» الخائفتين وهو يقول:

- «خالد».. أنت لم تجفل أو تفزع عندما تحرَّك المقعد، وقبلها عمل جهازك دون لمسه من قبلك أو قبلنا، ما الذي يحدث؟

- لا أعلم.

- من ثباتك داخل الغرفة، أرجِّح أنك تعلم، أو على الأقل رأيت ذلك من قبل.

- منذ البارحة وأشياء غريبة تحوطني داخل الشقة التي انتقلت إليها.

- أشياء مثل ما رأينا؟

- اعتقدت أنها خيالاتي، لكن اليوم تأكدت أنها مادية.

- وماذا ستفعل؟

- سأنتقل إلى منزل جديد.

- لا أعتقد أن الانتقال سيفيدك.. أعرف رجلًا يفهم في الروحانيات.

تأفَّف «خالد» وهو يقول:

- «عدنان»، لن أسمح بزيارة الشيخ فلان وعلان إلى بيتي ليدَّعي تواصل الجان معي.

- ما أقصده هو شخص سيجيبك عن بعض الأسئلة، وربما كانت الإجابة فيك أنت.

نظر إليه «خالد» بشك وقال:

- هل تعتقد أنني أمتلك قوة خارقة؟

- نعم نعم، أنت من حرَّكت المقعد، وأنت من تتحكَّم في الكمبيوتر، في كل الحالات هذا الرجل يهتم بتدوين الظواهر الغريبة ويحاول قياسها، ما رأيك أن تتقابلا؟ إن لم يكُن مفيدًا فلن يضرك.

بحركة لا إراديَّة أخرج «خالد» علبة السجائر التي اشتراها بالأمس من جيب سرواله الجينز وفض الورقة التي تغلفها وهو يفكر..

- ألم تتوقف عن التدخين؟

انتبه «خالد» في الثانية نفسها ونظر إلى العلبة بدهشة ثم

وضعها في جيبه مرة ثانية بخيبة أمل وهو يقول:

- لا أثق بمن يقول إنه يفهم بالظواهر الخارقة، أنت تـ...

قاطعه «عدنان» بحماس:

- قلت لك جربه، ما رأيك في الليلة؟ سأحضره لمنزلك، أخبرني العنوان و...

- لا، اترك لي وسيلة الاتصال به وأنا سأقابله وحيدًا.

***

دخل «خالد» الشقة بإرهاق بادٍ على وجهه وهو يحمل بيده هاتفًا محمولًا اشتراه في طريق عودته بعد أن أعاد خط الهاتف من شركة الجوال، جلس على أحد المقاعد وهو يُخرج ورقة من ملابسه أعطاه إياها «عدنان»، بها رقم هاتف الرجل الذي يُدعى «ناصر»، اتصل برقم هاتفه المحمول فرد عليه وهو ينهض متحركًا في الشقة وقد ألقى بحقيبة كتفه أرضًا:

- السلام عليكم، اسمي «خالـ...

- نعم نعم، أستاذ «عدنان» أبلغني منذ قليل، هل لك أن تروي لي بعض ما يقابلك؟

- الليلة السابقة رأيت أشياءَ غير موجودة، توهمت أنها

تحدث، وأشياء أخرى لها وجود مادي كهاتفي المحمول الذي انفجر بعد أن تصرف بغرابة، و...

- أكمل.

- أشتمُّ في الشقة رائحة تشبه رائحة الدم، هل تعتقد أنني أمرُّ بطور من الهلوسة؟

- السيد «عدنان» أرسل لي فيديو لكاميرا مراقبة معلَّقة في غرفتكم في العمل، ورأيت ما حدث بها، لكن هل رأيت أنت هذا الفيديو؟

- لا.

- هل أستطيع مقابلتك الليلة؟

- سأرسل لك موقع منزلي على أي تطبيق محادثة تستخدمه.

أغلق «خالد» الخط وقد وصل إلى غرفة النوم، أضاء المصباح فوجد امرأة نائمة على الفراش، هرب الدم من رأسه وكتم أنفاسه وهو يغادر الغرفة جريًا، لكنه توقف وتمالك نفسه وهو يعود إلى غرفة النوم بخطوات بطيئة حتى توقف عند بابها ليجد المرأة النائمة بملابس نوم مستغرقة في الشُّبات، طالما لم تختفِ فهي ليست عِفريتة!

فكر في ذلك وهو يناديها بصوت عالٍ متسائلًا عن سبب وجودها، تفصيلة صغيرة بدأ يدركها، هي أن وجهها مختفٍ بسبب شعرها المتناثر، لكن بعض تفاصيل الوجه لها لون رمادي غير مريح، بدأت المرأة تحرِّك رأسها لتنظر إليه، امرأة بوجه متحلل وعينين بلا جفون تنظر إليه.

لن يمارس دور البطل، جرى بكل سرعته ليغادر الشقة ويقف أمام بابها لاهثًا، فكر أنه سينتظر هنا بلا أي حركة حتى يأتي الرجل، قرب أذنه من باب الشقة، أتاه صوتٌ بعيد من الداخل لحركة أقدام سريعة، خطوات ثقيلة تدب على الأرض بسرعة حتى توقفت عند باب الشقة من الداخل وشعر بشيء ما يلمس الباب.

***

مرَّ نصفُ ساعة أو أقل، حتى وجد رجلًا في الخمسين من العمر ممتلئ الجسد حليق الوجه يحمل حقيبة سفر متوسطة الحجم، كان يسير في المدخل الخاص بشك حتى وجد «خالد» جالسًا على الأرض ممتقع الوجه، مدَّ يده لـ«خالد» مصافحًا وهو يقول:

- أنا «ناصر عبد العزيز»، كاتب وباحث في الباراسيكولوجي.

نهض «خالد» بتثاقل وهو يصافحه.

- تعرَّفت إليك من فيديو كاميرا المراقبة يا سيد «خالد»، ما الذي يُجلسك هكذا؟

- لن أكذب عليك، أخشى الدخول إلى الشقة، رأيت امرأة ميتة بها.

- هل تسمح لي بالدخول؟

أخرج «خالد» مفاتيح الشقة من جيبه ومعها خرجت علبة السجائر، تأملها لثانية قبل أن يفتح الباب ويشير إلى «ناصر» بالدخول، وضع هذا الأخير حقيبته على الأرض وفتحها ليُخرج منها جهاز كمبيوتر محمول وضعه على المائدة وفتحه، ثم أخرج جهازًا يشبه الهاتف المحمول بشاشة ملونة وشغَّله، قرَّبه من الكمبيوتر المحمول فارتسمت أرقامٌ سريعة على شاشة الجهاز.

- قبل أن تسأل، هذا الجهاز يقيس المجال الكهرومغناطيسي وهو متوافر، أنا أختبره على الكمبيوتر لأعرف فاعليته.

- تعتقد كما الأفلام أن الأشباح أو الخوارق سيلتقطها هذا الجهاز؟

- هل تعاني يا سيد «خالد»؟

قالها «ناصر» وهو يتحرك في الشقة ممسكًا الجهاز الذي لم يلتقط أي شيء.

- أعاني، لكن أخشى ما أخشاه أن أكون قد أُصبت بفصامٍ يصوِّر لي خيالات مخيفة.

عاد «ناصر» وجلس بجانب الكمبيوتر الخاص به وهو يفتح أحد ملفات الفيديو قائلًا:

- سأعطيك الدليل على أنك لا تهذي، سترى السبب الذي جعلني أتحمس لمقابلتك.

داخل مقطع الفيديو، ظهرت غرفة الصحفيين في الجريدة و«خالد» ينهض من موضعه ليغلق الكمبيوتر، خلفه تحرَّك خيالٌ رمادي اللون اصطدم بالمقعد فتحرك، أوقف «ناصر» المقطع ليثبت الصورة، قرَّب «خالد» رأسه من الشاشة، رأى خلفه خيالًا غير محدَّد الملامح ولا الجسد.

- أنت لا تمتلك قوة خارقة، بل يحيط بك شيء خارق، وأعترف أنني لم أرَ كثيرًا من الظواهر الخارقة في «الكويت» بذلك الوضوح، هل تستطيع أن تحكي لي ما حدث الأيام السابقة من حياتك؟

جلس «خالد» على مقعد بجواره وأخرج سيجارة من علبة السجائر أخذ يتشمَّم رائحتها وهو يقول:

- سأروي لك ما حدث بالأمس، أعتقد أنه السبب.

لم يُشعل «خالد» السيجارة طوال الوقت الذي روى فيه لـ«ناصر» أحداث يومه السابق، بل أخذ يحرِّكها من يد إلى الأخرى ويتشمَّمها حتى انتهى من الحديث.

- هل ستشعل تلك السيجارة أم لا؟

- لا أعرف.

- يبدو أنك توقفت عن التدخين حديثًا وتشتاق إليها.

- هل تعتقد أن هذا سبب توتُّري؟

ارتسمت على شفتي «ناصر» ابتسامة سريعة مسحها قائلًا:

- أنت لا تريد أن تعترف بالحقيقة؟

- أي حقيقة؟

- أن حوادث القتل التي علمتَ أنت عنها لها علاقة بما يحدث، كأن الضحايا يريدون التواصُل معك.

- بهذه البساطة؟

- الأمر معقد.

- إيماني بأن الروح لا تعود إلى الأرض راسخ، لن أصدق أنهم سيتواصلون معنا.

- ما رأيك أن نجرِّب التواصُل ونرى ماذا سيحدث؟

- وإن زادت الاضطرابات من حولي؟

- أنت تعيش وسط المصائب، لن يضيرك مصيبة جديدة.

وقع الصمت على «خالد» وهو ينحني على نفسه كالطفل في مقعده، قال «ناصر» بأدب:

- هل نبدأ؟

أضيئت شاشة جهاز «ناصر» الملقى فجأةً وارتسمت عليها أرقامٌ أخذت في الازدياد، جرى «ناصر» ليُخرج من حقيبته جهازًا يشبه مسجل الصوت القديم يخرج منه ميكروفون بارز، شغَّل الجهاز فخرج منه صوت شوشرة محطات الإذاعة، بصوت رصين قال «ناصر» وهو ينظر حوله:

- إن كان هناك أحدٌ في الشقة يريد التواصل فليعطِني إشارة.

زادت أصوات الشوشرة الآتية من الجهاز ثم انخفضت، نهض «خالد» بخوف و«ناصر» يقول:

- سأعتبر هذه إشارة منكم بالموافقة، هل يمكن لمن يسمعني أن يَظهر لنا أو يُظهر موضعه؟

انقطع التيار الكهربي في كامل الشقة ولم يبقَ سوى ضوء شاشة الكمبيوتر المحمول على المائدة.

- إن كانت تلك الطريـ...

قطع «ناصر» عبارته وهو ينظر إلى ضوء يُشبه لهب الشمعة يأتي من غرفة النوم، تضخَّم الضوء واستطال وتحوَّل إلى كتلة شفافة من الضوء تسير بلا قدمين تقترب من صالة الاستقبال حتى أصبح الضوء على بُعد أمتار منهما.

- من أنت؟ وماذا تريد من «خالد»؟

عاد التيار الكهربي فجأة في لحظة انفجار الكمبيوتر نفسها، تراجع «خالد» إلى الوراء حاميًا وجهه بيديه، لكنه لاحظ أن «ناصر» يصرخ وأن عينيه تتسعان ثم أغشي عليه، جرى «خالد» على المنضدة وهو يحاول إخماد النار الصغيرة المتبقية من الانفجار، لكنه فشل؛ فهو لم يمتلك ما يطفئها به، على كلٍّ لم تكُن نارًا بالمعنى المفهوم، بل لهبًا قليل التوهج يخرج من بقايا البلاستيك المحترق.

سمع «خالد» صوت «ناصر» من خلفه يقول بفزع وهو ينهض من على الأرض ويشير ناحيته:

- أنا... أنا... لقد رأيتُ كل شيء.

أخرج «خالد» علبة السجائر وسحب واحدة أخرى غير التي كان يُمسكها منذ قليل، لكنه قرَّب طرفها من اللهب المشتعل ثم سحب منها نفسًا عميقًا أخرجه براحة.

- ماذا رأيت؟

قالها «خالد» ببرود، فأشار «ناصر» بيده متهمًا وهو يقول:

- أنت القاتل الأجير، أنت مَن قتلتهم.

استنشق «خالد» نفسًا عميقًا آخر وهو يقول بالبرود نفسه:

- وما الذي يريدونه مني؟

- سيقتلونك، لقد أروني كل شيء!

كان «ناصر» يقول عبارته وهو يتراجع بظهره باتجاه باب الشقة، لكن «خالد» سحب أحد مقاعد المائدة الخشبية بيد واحدة وخطا بثبات ناحية «ناصر» لينزل به على رأسه.. لم يتهشَّم المقعد، لكن جمجمة «ناصر» هي التي تهشَّمت وهو يسقط أرضًا في صمت.

جلس «خالد» على مقعد آخر وهو يشرب السيجارة وينظر إلى «ناصر» مهشَّم الرأس الذي ترتعش يداه قائلًا:

- اعذرني يا سيد «ناصر»، سأتحمل الأشباح وجنونها، وربما تحملت شبحك عندما ينضم إلى قائمة قتلاي، لكني لن أُعدَم، الحقيقة أنني أحب عملي الخاص في القتل ولن أتركه.

ثم نظر إلى سيجارته المشتعلة قائلًا:

- كما أنني سأعترف لنفسي أيضًا بأنِّي أحب التدخين ولن أتركه هو الآخر.

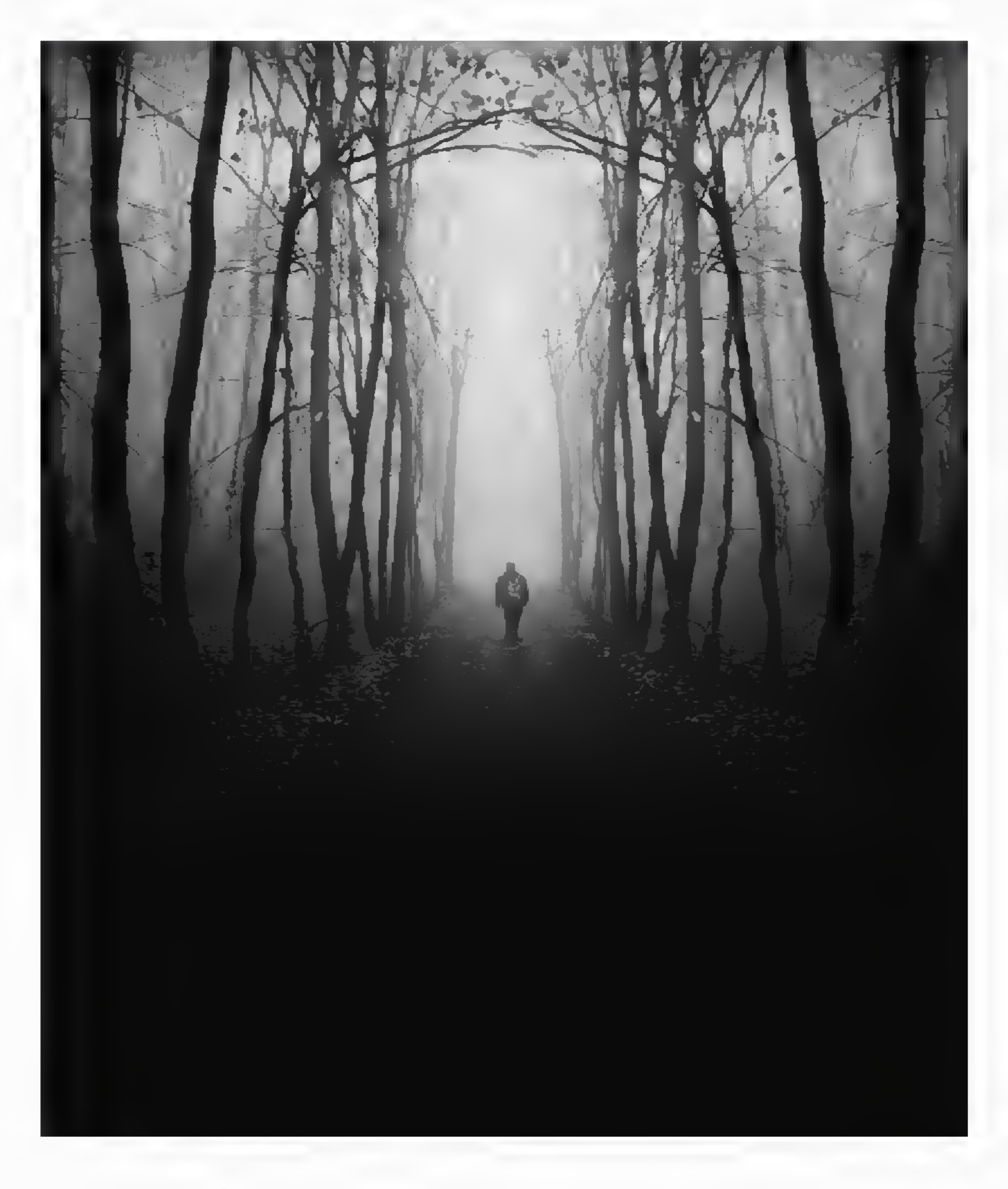
اهتزَّت جثة «ناصر» للمرة الأخيرة قبل أن تتوقَّف ودخان سيجارة «خالد» يمرُّ من فوقها.

***

تمت

سند راشد

سادة الهامسين



(سند راشد)، كاتب وباحث كويتي، يُعد من أوائل من قدّم أدب الرعب والخيال العلمي في الكويت، له عدد من الإصدارات التي حققت نجاحًا وانتشارًا كبيرًا، قدّم عددًا

من الإصدارات المشتركة مع الكاتب الكبير (د. أحمد خالد توفيق)، منها (عشاق الأدرينالين)، و(موسوعة الظلام)، و(الحافة)..

حققت روايته (الساحر) مبيعات عالية، وتُرجمت إلى ثلاث لغات مختلفة...كما تحولت بعض أعماله الى أفلام و مسلسلات درامية...

يقدم لنا اليوم قصة (سادة الهامسين)، وهي قصة تدور في جو غرائبي قاتم، وتطرح تساؤلات عديدة حول الفرق بين الحقيقة والخيال!

القصة يتم تحويلها حاليًا إلى عمل درامي ضخم ضمن مجموعة أعمال تم تحويلها دراميًا من سلسلة قصص حكايات غريبة.

1

انطلق البرق مؤذنًا بشتاء قاسٍ، وراحت زخات المطر تنهمر بهدوء...

انطلقتُ بدراجتي النارية غير آبهٍ بالأمطار التي راحت تزداد تدريجيًا عبر الشوارع التي كانت خاليةً من المارة...

عقارب ساعتي الفسفورية تقول إنها الحادية عشرة مساءً...!

لماذا أخرج في هذا الوقت؟

لا أعرف...

إنها من المرات النادرة التي لا أتذكر متى خرجت فيها!

ولماذا!

ولكني كنت أعرف أني متجه إلى مكان ما...

و...

توقفت عند مواقف للسيارات بجانب مدرسة صغيرة...

أنا أعرف أنه يجب أن أنتظر أحدًا هنا...

لماذا...؟

لا أتذكر تمامًا...!

خلعت خوذتي...

وراحت قطرات المطر تبلل شعري ببطء...

المكان أشبه بصورة طبيعية حية، لا توجد أي حركة سوى قطرات المطر التي راحت تنهمر بإصرار...

هناك شخص يقترب..

لم تكن الإضاءة تساعدني على معرفة كيف وصل إلى هنا...

أو من أين جاء...

ولكنه اقترب حتى بدت ملامحه واضحةً أمامي...

كان شابًّا في نهاية العقد الثاني من العمر...

يرتدي بدلة أنيقة لا تتناسب مع الأجواء العاصفة...

ابتسم الشاب، فابتسمت بدوري من باب اللباقة... فأنا لا أعرفه!

أو لا أتذكره بمعنى أصح...

وفجأة ودون مقدمات أعطاني حقيبة...!

من أين جاءت الحقيبة؟

لا أدري...

فجأة وجدت حقيبةً بيد الرجل أعطاها لي...!

لم أكن مهتمًا بمحتوى الحقيبة، فقد وضعتها جانبًا على الأرض..

انطلق البرق من جديد يشق السماء، وهنا أخرجت سيجارة من جيبي وأشعلتها!

الغريب أني غير مدخن أساسًا، وآخر مرة أمسكت بسيجارة كانت أثناء دراستي في المرحلة الثانوية من باب المزاح!

غريب...لا أشعر بطعم السجائر...

و...

انطلق البرق بالسماء مُحدِثًا إضاءةً مخيفة على وجه الشاب الذي كان ينتظر شيئًا...

ما الذي ينتظره؟

هل من المفترض أن أعطيه رزمة من المال كما يفعل تجار المخدرات؟

أم أنه أعطاني المال وينتظر البضاعة؟

من أين أعرف هذا الشخص أساسًا!

وبغتة ...

ودون مقدمات انطلق صوت رصاصة من لا مكان...

لتضرب رأسي بقوة...

وسقطت على الأرض...!

أنا متأكد أن الرصاصة قد أصابت رأسي بعنف...

ولكن... لماذا أنا حي حتى الآن؟

وأشعر بمن حولي...!

ابتسم الشاب واقترب مني...

انحنى وراح يفتش جيوبي!

اللعين يريد سرقتي!

حاولت منعه، ولكني لا أقوى على الحراك!

أنا لا أستطيع الحركة نهائيًا...!

حالة أشبه بـ (شلل النوم)، التي يُطلق عليها مجازًا بين العامة اسم (الجاثوم) (1)...

أنْ تعيَ ما يحدث حولك، ولكنك لا تستطيع الحركة!

لم يبحث كثيرًا، فقد عثر على محفظتي سريعًا في الجيب

الأمامي...

نظر إليّ نظرة غريبة وابتسم...

و.

استيقظت من النوم فجأةً!

---

(1) الجاثوم أو شلل النوم: حالة طبية، تحدث ما بين مرحلة الاستيقاظ والنوم تجعل الشخص واعيا ولكن غير قادر على التحرك أو الكلام، تصاحبها في العادة حالة من الهلوسة من العقل و رغم أن النوبات تستمر أقل من بضع دقائق إلا أنها مخيفة بما يكفي بالشخص المصاب بالنوبة، و رغم التفسير العلمي لازالت الحالة تثير خيال الأدباء و تحمل العديد من التفسيرات الماورائية الغريبة منها وجود شيطان يجثم على الصدر!

2

استيقظت وأنا أشعر بصداع شديد...

كأن هناك رصاصةً فعلًا قد أصابت رأسي...!

إن الكوابيس قد تشعرك بأنك مررت بتجربة حقيقية، ولكن ليس لهذه الدرجة...

نهضت بصعوبة...

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة صباحًا...

إنه موعد ذهابي إلى العيادة...

بحكم عملي طبيبًا نفسيًا أعرف تمامًا أن هذه الأحلام والكوابيس مجرد هواجس عقلية في حالة من الإرهاق الفكري أو البدني...

أنا أُشفق على من يضيعون وقتهم في محاولة تفسير هذه الكوابيس...!

أو الأحلام...

على الرغم من أنها قد تحمل بعض الدلالات، ولكنها في الغالب دلالات نفسية ليست ملزمة...

كنت قد مررت بتجربة انفصال مريرة، بعد زواج قصير

استمر لثلاثة أشهر، قد تكون هذه أحد الأسباب التي جعلت عقلي مشوشًا هذه الأيام...

ارتديت ملابسي سريعًا وخرجت...

اعتدت الذهاب إلى المقهى لأخذ قهوتي الصباحية قبل التوجه إلى العيادة...

إنها عادة اعتدت عليها منذ أن حصلت على درجتي الجامعية من (كندا)...

الحصول على كوب قهوة والذهاب إلى مشاويرك الاعتيادية أصبحت عادة عتيقة متأصلة لدى العديد من الناس...

وأنا منهم...

لقد كانت السماء غائمة في الخارج...

يبدو أن أجواء الكابوس القاتمة قد انعكست أثناء نومي من الأجواء الماطرة...

عندما تسمع صوت الرعد وأنت نائم، ففي الغالب أنك ستحلم بالرعد والبرق والأجواء الماطرة...

الأصوات الخارجية تؤثر على مَن في غيبوبة، فما بالك بالشخص النائم (1)...!

أنا طبيب نفسيٌّ، وأعرف هذه الأمور جيدًا!

---

(1) حقيقة

3

وقفت في طابور الطلبات في مقهى (ستاربكس)...

إن لهذا المقهى تحديدًا شعبية كبيرة هنا، الجميع متأثر بالثقافة الأمريكية، لدرجة أن المكان قد تحول إلى مرتع للحياة اليومية....

فهذه فتاة تدرس بشكل يومي هنا..

طبعًا هي ليست متفوقة...

فهي تُمضي يومها غالبًا في مراقبة الوجوه الشاردة والواردة...

لا يجلس المتفوقون عادة في المقاهي يدرسون!

هذا شاب أحضر ابنه معه ليلعب بجهازه المحمول!

الأسهل لو جعله يلعب في المنزل، ولكنه يحاول أن يقوم بدور الأب الصالح الذي يُمضي يومه مع ابنه...!

حالة من التصالح مع النفس يُقنع بها ضميره..

عقدة النقص في أوضح حالتها كما وصفها عالم النفس الشهير (ألفرد أدلر) (1)...

وهذا الشاب الذي يغادر المقهى...

لحظة...

أين شاهدت هذا الشاب قبلًا؟

خُيِّل إليَّ أنني أعرفه جيدًا!

هل هي ظاهرة (ديجافو) (2) الشهيرة، حيث يخيل إليك أنك رأيت شيئًا من قبلُ؟

- مستر (رازي)، كيف حالك اليوم؟ نفس طلبك المعتاد؟

قالت لي الفتاة التي تعمل في المقهى، لقد جاء دوري سريعًا...

طلبت قهوتي المفضلة، وهي قهوة سوداء بلا أي إضافات...

إن الأنواع الجديدة من خلطات القهوة إهانة بحق صناعة القهوة!

- دينار ونصف..

قالت لي مبتسمة...

أدخلت يدي في جيبي لأخرج محفظتي... و...

تبًا يبدو أنني نسيت محفظتي بالمنزل...!

بحثت في جيوبي مرة أخرى، فلم أعثر عليها..

هنا تذكرت الكابوس الغريب الذي حلمت به مساء الأمس...

وتذكرت أمرًا آخر...

الشاب الذي شاهدته قبل قليل هو ذاته الشاب بالحلم!

---

(1) ألفرد أدلر: طبيب بشري ونفسي نمساوي، يعد مؤسس مدرسة علم النفس الفردي، أشتهر بخلافة الكبير مع عالم النفس الكبير (فرويد) و (كارل يونغ) حيث كان (أدلر) يؤمن بأن القوة الدافعة في حياة الإنسان هي الشعور بالنقص والتي تبدأ حالما يبدأ الطفل بفهم وجود الناس الآخرين والذين عندهم قدرة أحسن منه للعناية بأنفسهم والتكيف مع بيئتهم!

(2) ديجافو: كلمة فرنسية تعني "شوهد من قبل" وهو مصطلح يطلق على ظاهرة غريبة، تجعل الفرد يشعر بأنه رأى أو عاش الموقف الحاضر من قبل، لا تحمل تفسير علمي واضح حتى يومنا هذا و يرى بعض علماء النفس أنها خلل في نشاط الذاكرة.

4

عدت إلى شقتي سريعًا...

بحثت في كل مكان ولم أعثر على محفظتي!

لقد اختفت تمامًا!

هل وقعت في العيادة؟

اتصلت بالممرضة العاملة وأخبرتني أنها لم تعثر على المحفظة!

تذكرت من جديد الكابوس الغريب!

لماذا يصر الكابوس أن يظهر في عقلي طوال اليوم؟

هل الموضوع له علاقة باختفاء المحفظة؟

لو أخبرت أمي بما حدث لقالت لي بثقة وهي تطبخ العشاء إن الكابوس دلالة على أنني سأضيع محفظتي اليوم!

أنا إنسان عملي وعلمي، ولا أومن بأن الأحلام تقدِّم لنا لمحة من مستقبلنا...

قد تقدِّم لنا لمحةً من ماضينا، ولكن ليس مستقبلنا..

عمومًا هذه الأشياء تحصل!

ويجب ألَّا أشغل نفسي بها، سيأخذ الموضوع بعض الوقت لزيارة بعض الهيئات الحكومية والبنوك واستخراج البطاقات مرة أخرى، وينتهي كل شيء...

لا داعي لأن أربط الأمور بتفاصيل ما ورائية، حتى لو كان كابوسًا مزعجًا..

عليَّ الذهاب إلى العيادة الآن...

فلديَّ مواعيد مع مراجعين!

5

لا يحب الناس في عالمنا العربي الذهاب إلى الطبيب النفسي...

هذه حقيقة يعرفها كل طبيب نفسي في المنطقة...

للأسف مجتمعنا خلق وهمًا أن من يذهب للطبيب النفسي هو بالتأكيد شخص يعاني من خلل في عقله أو مجنون...!

نحن لا نعي أهمية الطبيب النفسي، وأن النفس تمرض كما يمرض الجسد...

في الدول المتقدمة توفر الحكومات طبيبًا نفسيًّا إجباريًّا لمتابعة الجميع! (1)

فمن منا لا يعاني من أمراض نفسية؟!

لهذا السبب ولأسباب أخرى لا تتمتع العيادات النفسية بالكثير من المراجعين عادة، ولكن اليوم كان يومًا مرهقًا بالنسبة إلي؛ فقد تابعت أربع حالات تقريبًا، وكلها تحتاج إلى التركيز الشديد...

ما أمارسه مع مراجعي نوع من التحليل النفسي الصعب...

وهو عملية مهمة جدًّا لدراسة الماجستير التي أقوم بها..

في الحقيقة، لا يفرِّق الناس بين المحلل النفسي والطبيب النفسي، فغالبية الحالات تكون بحاجة إلى تحليل نفسي؛ لهذا السبب نحتاج إلى جلسات مطولة قبل الوصول إلى مكمن الخلل، وبالتالي علاجه...

ولتعرف مدى صعوبة الأمر، يكفي أن تعرف أنه في الولايات المتحدة الأمريكية كلها -وهي الدولة المتطورة الأولى في العالم- لا يوجد لديها أكثر من 800 محلل نفسي...!

لهذا السبب أطمح من خلال دراستي التي أقوم بها أن أضع قدمي مع عمالقة هذا المجال النادر..

أنهيت حالة المراجعة الأخيرة، ورحت ألملم حاجياتي استعدادًا للمغادرة..

لقد استطعت أن أتقدم بشكل جيد في بحثي، فقد كانت الحالات اليوم مثمرة وتستحق المراقبة..

وهنا طرقت الممرضة الباب...

- تفضلي...

فتحتِ البابَ ومدَّت رأسَها قائلة في تردد:

- أعتذر! أعرف أن الوقت قد انتهى، ولكن هناك مريض يصر

على مقابلتك...!

شاهدت ساعتي، إنها تشير إلى الثالثة عصرًا بالفعل، لا مجال لاستقبال حالات أخرى...

- يرجى إضافته على جدول الغد!

قالت في تردد:

- يقول إن الحالة حرجة ولا تحتمل التأجيل...

حاولت النظر من طرف الباب المفتوح، كان هناك رجل في الأربعينيات من عمره، يرتدي عوينات طبية، وجزء من شعره أبيض، يجلس على الكرسي الخارجي ويحرك قدميه بسرعة...

يبدو متوترًا...

لو صدَقت خبرتي فهذا الرجل يعاني من اضطراب (الوسواس القهري) (2) وهو شائع جدًّا بين من هم في هذه السن...

- حسنًا، دعيه يدخل...

شعرت أن واجبي الأخلاقي أن أقبل هذه الحالة، رغم أنها تمثل الخلاف الأزلي بين الدكتور الخبير الذي يرى أن الحالة من الممكن أن تنتظر حتى الغد، وبين أهل المريض الذين

يرون أنه يجب أن تعالج ابنهم الآن وفورًا، وإلا فسيموت بعد قليل بسببك!

دخل الرجل وجلس على أقرب كرسي دون أن أقوم بدعوته...

كانت قطرات المطر تقطر من جبهته...

أم هو عرق؟

قال بسرعة فور أن أغلقتِ الممرضةُ البابَ:

- إنهم يراقبونني، يجب أن نتحدث بسرعة...!

أوه...

حالة متقدمة من (البارانويا) (3)، هذا الرجل يحتاج إلى علاج فوري فعلًا...

وهو يستحق اهتمامي، كما أنه إضافة مهمة لبحث الماجستير الذي أقوم به!

سألته:

- من هم؟

التفت يمينًا وشمالًا قبل أن يقول لي هامسًا:

- السادة! سادة الكوابيس!

بدا المصطلح مضحكًا وشبيهًا بأسماء أفلام الرعب التجارية الرخيصة...

- سادة ماذا؟

- الكوابيس... هل سمعت سابقًا بالإسقاط النجمي؟

حالة نفسية معقَّدة تختلط فيها الحقيقة بالخيال... الإسقاط النجمي هي حالة شهيرة في ظواهر (الفورتنية) (4) تتحدث عن إمكانية انفصال الروح عن الجسد قبل أن تعود إليه من جديد (5)...

ابتسمت قائلًا له:

- طبعًا... من الظواهر الخيالية الشهيرة ...

تعمدت استفزازه بكلمة (خيالية)، أحتاج أن أرى ردة فعله، يجب أن أصدم قناعاته حتى أحصل على ردة فعل...

إنها من أهم تقنيات التحليل النفسي، كان عالم النفس الشهير (فرويد) (6) يعتقد أن اللاوعي يظهر واضحًا عند الاستفزاز ، فهنا من الممكن أن نلتقط بعض الكلمات الصادرة من اللاوعي!

لوَّح بيده بالنفي قائلًا:

- لا لا، ليست خيالية، إنها حقيقة واقعة، الروح تستطيع مغادرة الجسد، أنا جربتها شخصيًا!

قال عبارته الأخيرة ونهض فجأةً!

جفلت من حركته غير المتوقعة، ولكني سرعان ما سيطرت على أعصابي..

إبداء الخوف أمامه لن يفيد شيئًا لحالته المرتبكة...

اقترب مني وأمسك بياقة قميصي بلطف...

قبل أن أطلب منه ألَّا يلمسني، انتزع زر قميصي بالقوة..

حسنًا لقد تجاوز هذا المخبول الحدودَ، يجب أن يكون تصرفي هنا أكثر قوة...

نهضت بعصبية، و...

تبدلت ملامحه فجأةً، وابتسم ابتسامة ثقة تتنافى مع حالته قبل قليل قائلًا:

- هل ترى هذا الزر؟

أشار إلى الزر الذي انتزعه من قميصي قائلًا...

سيكون دليلًا على ما أقوله!

هنا أغلقت دفتر الملاحظات...

وقمت بمناداة الممرضة...

يجب أن يغادر هذا الشخص المكان فورًا!

حالته من الصعب التعامل معها، على الأقل يجب أن يعالج في حالة أكثر هدوءًا!

قال لي:

- لا تقلق، سأغادر وحدي الآن...

وضع زر قميصي المنزوع على الطاولة، ومد يده بطريقة استعراضية...

هذا الرجل يعاني كمًّا من الأمراض النفسية يمكن تأليف مجلدات كاملة عنها!

توقف في مكانه للحظات قبل أن يفرقع أصابعه بجانب رأسي...

ولكني لم أسمع صوت الفرقعة...

بل ظهر صوت آخر...

صوت رصاصة عنيف...

و كأن رصاصة انطلقت من لا مكان...

هذه المرة لم تصب رأسي...!

ورغم ذلك سقطت من على مقعدي على الأرض...

لا أقوى على الحراك، إلا أنني أعي وأشاهد ما يحدث...

نفس الحالة التي مررت بها سابقًا...

خليط من شلل النوم وانعدام الوعي..

تبدلت ملامح الرجل فجأة إلى ملامح الخوف، وقال بارتباك:

- آسف لم أقصد!

وبدل أن يساعدني دار على عقبيه ليفتح باب الغرفة ويقوم بالخروج!

وقبل أن يغلق الباب شاهدت شابًا يقف في الخلف...

نفس الشاب الذي شاهدته في الكابوس الأول...

وفي المقهى!

واستيقظت من الحلم!

---

(1) حقيقة! في الواقع غالبية الدول العربية أيضا توفر المراجعة

النفسية مجانا، ولكن لا أحد يهتم بالمراجعة!

(2) الوسواس القهري: اضطراب نفسي مزعج، يشعر فيه المصاب أنّ فكرة معيّنة تلازمه دائماً وتحتلّ جزءاً من الوعي والشعور لديه وذلك بشكلٍ قهري، أي أنّه لا يستطيع التخلّص منها، مثل الحاجة إلى تفقّد الأشياء بشكل مستمر، أو ممارسة عادات وطقوس بشكل متكرّر، وتصل في بعض الحالات الى مراحل خطيرة تحتاج الى التدخل العلاجي فورا

(3) البارانويا: اضطراب نفسي يعتقد المريض من خلاله أن هناك تهديد محتمل اتجاهه، ويصاحب الحالة اتهامات باطلة وعدم ثقة بالآخرين حيث يعتقد أن هناك من يحاول أن يسبب له الضرر المتعمد.

(4) الظواهر الفورتنية: مصطلح يطلق على ظواهر ما وراء الطبيعة التي لا تحمل أي تفسير، ويعود سبب التسمية نسبة الى الكاتب الأمريكي (تشارلز فورت)، الذي أمضي جزء كبير من حياته يبحث في هذه الظواهر الخارقة.

(5) الأسقاط النجمي: هو تفسيرٌ افتراضيّ لحالَةِ خروجِ الكيان الروحي من الجسدي، وذلك بافتراضِ أنّ هُناكَ هيئةٌ نجميّة تنفصل عن الجسد الفيزيائي قادِرة على السفر خارجه! ورغم غرابة الفكرة إلا أن هناك عدد كبير من الناس المؤمنين بهذه الحالة الغريبة.

(6) سيغموند فرويد: طبيب نمساوي يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي، اشتهر بنظريات العقل واللاواعي، وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي.

6

نهضت لأجد نفسي في شقتي على أريكتي، والسماء تمطر بغزارة في الخارج!

نظرت إلى الساعة، إنها الرابعة مساءً!

يبدو أنني عندما عدت إلى المنزل للبحث عن محفظتي أخذت غفوة غير متوقعة، ونمت لأحلم بهذا الكابوس الغريب!

متى نمت؟

لا أتذكر، ولكني أتذكر جيدًا أنني جلست على هذا المقعد بعدما فشلت في العثور على محفظتي...

كابوسين في اليوم نفسه!

تجربة غريبة لم أمرَّ بها سابقًا، رغم أنه من الناحية العلمية فإن الإنسان يحلم بشكل يومي، ولكنه لا يتذكر أحلامه بشكل جيد (1)

اتصلت فورًا بالممرضة لأقدم اعتذاري لها عن عدم الحضور اليوم، فقد كان لديَّ عدد من المواعيد الخاصة بحالات يجب متابعتها..

وهنا انتبهت لأمر ما...

زر قميصي الذي أرتديه مفقود!

---

(1) حقيقة

7

لو أردنا تقديم تفسيرات علمية لما يحدث، لقلنا إنني أعاني من كوابيس مفرطة لأسباب نفسية عديدة، مثل الإجهاد أو الصدمات النفسية التي مررت بها في الفترة الأخيرة، منها تجربة الانفصال المريرة...

ولكن التفسير الأقرب أنها نوع من أحلام المطاردة الشهيرة جدًّا التي قتلها عالم النفس الشهير (كارل يونغ) (1) بحثًا وتحليلًا...

مطاردات غامضة توحي بأن هناك أمرًا ما في مكنونات نفسك تخشى مواجهته...

قد يكون طليقتي نفسها...

أو رسالة الماجستير التي أقوم بتحضيرها...

الغريب في الموضوع أن بعض هذه الأحلام تحقق بالفعل...!

فبعد سرقة محفظتي في الكابوس الأول اختفت في الواقع!

الكابوس الثاني قطع زر قميصي وأنا الآن بلا زر!

هناك ظاهرة شهيرة تسمى (أحلام المنبه)، العقل يقوم بابتكار قصة للحلم من لحظة الاستيقاظ بالعكس! تشعر بالعطش فيقوم عقلك بتلفيق حلم ينتهي بالصحراء..

تشعر بالبرد، فيقوم عقلك بتأليف كابوس تدور أحداثه في (القطب الشمالي)!

الغريب أنك تراه بأثر رجعي؛ أي بعد الاستيقاظ من النوم، وقد ينطبق هذا التفسير على زر قميصي، ولكنه بالتأكيد لا ينطبق على محفظتي!

لو استشرت أمي في الموضوع لقالت لي بثقة وهي تقطع البطاطس إن الحجاب مرفوع عني؛ لهذا السبب أشاهد أمورًا قبل أن تحدث!

ولكني أخبرتكم سابقًا أن هذه التفسيرات لا تدخل إلى عقلي العلمي!

انطلق البرق في السماء مع صوت الرعد الذي هز أركان الشقة...

الصداع مستمر ينخر رأسي...

أحتاج إلى جرعة من (الباراسيتامول)؛ النعمة الطبية التي يُطلق عليها تجاريًّا اسم (بانادول)!

أخذت بعض النقود من الدرج؛ إنها نقود الطوارئ التي أضعها هنا...

ونزلت إلى الشارع...

نسيت أن آخذ مظلتي، ولكني لم أكن يومًا ممن يخاف المشي في الأمطار...

كانت السماء مستمرة بإسقاط زخات المطر ...

والشوارع شبه خالية من المارة...

ذهبت إلى أقرب صيدلية واشتريت علبة (بانادول)...

أخذت جرعتي سريعًا من دون ماء...

فالصداع لا ينتظر...

و...

وفجأة من بعيد شاهدت شابًا يسير بسرعة وسط الأمطار...

ولو دققنا النظر، كان يحمل مظلة سوداء، وهذا ليس مهمًّا...

دع عنك أنه يرتدي بدلة في الشتاء...

المهم في الموضوع أنه كان نفس الشاب الذي أشاهده في كوابيسي المزعجة...!

(1) كارل يونغ: هو عالم نفس سويسري ومؤسس علم النفس التحليلي، وكان لدية اهتمام بدراسة الروحانيات والظواهر الخارقة للطبيعة.

8

بما أنه من السخف أن أذهب وأسأل الرجل: لماذا تظهر في كوابيسي؟!

قررت ودون سبب واضح ولا منطق علمي أن أتبعه...

ماذا سأجني من متابعتي له؟

لا أعرف...

هناك سر، ويجب أن اكتشفه!

ظل يمشي بخطوات سريعة في الشوارع الرئيسية قبل أن يدخل زقاقًا صغيرًا...

ظللت أتبعه بنفس السرعة...

لم يلاحظ حركتي خلفه...

وشاهدته دخل مكانًا ما...

دققت النظر لأجد بابًا خشبيًا جانبيًا يؤدي إلى غرفة صغيرة...

توقفت خلف مظلة أحد المحلات المغلقة وأنا أراقب عن بعد...

مرت دقائق قليلة قبل أن يخرج من الغرفة...

ما جعلني متأكدًا أنه يخفي أمرًا ما هو أنه تأكد من خلو الشارع من المارة قبل أن يغادر الزقاق...

شعرت بالفضول بشكل أكبر واقتربت من الغرفة....

كان هناك باب خشبي صغير جانبي، كالذي تشاهده في هذا النوع من الأزقة...

دفعت البابَ بيدي لينفتح ببساطة...

لم يكن هناك مفتاح أو حتى قفل!

من ثَمَّ قررت دخول الغرفة بنفسي!

9

كانت أغلب تصرفاتي اليوم من دون مسببات واضحة...

لو كان (فرويد) هنا لقال بثقة إن قراراتي اليوم مدفوعة بـ(الهو) (1)!

فقد اعتدت أن أتقمص شخصية العالم الرصين، حتى في فترة دراستي لم أكن متهورًا، بل كنت الطالب الذي يؤثر السلامة دائمًا في الخلافات...

ولكن اليوم هناك أمر مختلف يدفعني دفعًا لتصرفات قد تكون متهورة!

قد أكون مدفوعًا بشخصية المحلل النفسي داخلي..

فإن استكشاف هذا المكان قد يفسر لديّ العديد من الأمور عن صاحب هذا المكان!

كان (كارل يونغ) مهتمًّا بدراسة الروحانيات وتحضير الأرواح تحديدًا، هل لأنه يؤمن بها؟

طبعًا لا...

بل لأنه يؤمن بالأسرار النفسية التي من الممكن أن يكتشفها من أشخاص اجتمعوا في مكان مظلم مغلق ليمارسوا طقسًا

رهيبًا كهذا!

دفعت الباب لأجده مفتوحًا!

هل وضعه مفتوحًا متعمد؟

دلفت إلى الغرفة وجال بخاطري:

ماذا لو كان هذا فخًّا؟

ماذا لو كانت الغرفة تحتوي على بعض المجرمين أو اللصوص؟

ولكن هذا الخاطر المخيف قد جاءني متأخرًا فأنا في منتصف الغرفة بالفعل!

كانت خالية لا تحتوي إلا على مكتب صغير، وضعت عليه بعض الأوراق...

و أدراج متعددة وسرير حديدي صغير...

لو كان هذا الشخص ينام هنا، فهو بالتأكيد قاتل متسلسل أو مجرم يخفي أمرًا!

فتشت الأوراق، كانت مكتوبة بلغة ليست عربية، قد تكون أقرب إلى الروسية منها إلى العربية...

فتحت الأدراج، كانت خالية إلا من بعض الأدوية والأقلام...

لا شيء هنا يثير الاهتمام..

فتحت درج المكتب لأجد علبة شفافة تحتوي على مفتاح أزرق اللون..

لو أردنا الدقة لقلنا إنه مصبوغ بلون أزرق (كلاين) اللون الغريب الذي ابتكره الرسام الفرنسي (إيف كلاين) (2)

أزرق ومشع كأنه مصنوع من مادة خاصة تضيء في الظلام!

ولكن هذا لم يكن الأمر الوحيد المثير للاهتمام في هذه العلبة...

فقد وضع عليها ملصق صغير...

ملصق يحمل اسمي!

---

(1) الهو والأنا والأنا العليا: ثلاث مصطلحات قدمها (سيغموند فرويد) ويعتبرها أقسام النفس، ويمثل (الهو) العقل الباطن (أو العقل اللاواعي) وهو القسم المندفع في شخصية الفرد.

(2) ازرق كلاين: لون ازرق غامق و مشع، ابتكر اللون الرسام الفرنسي (Yves Klein) و قد اعتمد على طحن اللازورد إلى مسحوق و إضافة بعض الألوان عليه ليخرج بهذه النتيجة الغريبة.

10

الربط إذن ليس خاطئًا!

هذا الشخص المخيف له علاقة بي فعلًا..!

أو بكوابيسي على الأقل..

سمعت صوت حركة في الخارج...

يبدو أن أحدًا في طريقه إلى هنا..

من الصعب تفسير سبب وجودي لزعيم عصابة مثلًا!

لهذا السبب أخذت علبة المفتاح وقررت القيام بأشهر مناورة بشرية...

الهرب..!

11

وصلت إلى شقتي...

لقد كنت ألهث من الخوف والحماس في الوقت ذاته...

(الأدرينالين) (1) يُضَخُّ بقوة في جسدي...

لقد أنجزت مهمة تليق بالجواسيس الذين نشاهدهم في السينما...

أخرجت العلبة الغريبة من جيبي..

ما سر هذا المفتاح؟

ولماذا يحمل اسمي شخصيًّا؟

وهل الموضوع له علاقة بالكوابيس التي مررت بها...؟

هل له علاقة باختفاء المحفظة؟

أو بالمخبول الذي سرق زر قميصي في الكابوس الثاني؟

الأحداث سريعة جدًّا اليوم، لدرجة أن عقلي غير قادر على استيعاب ما حدث!

كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساءً، لقد أضعت وقتًا طويلًا وثمينًا اليوم في تتبع الموضوع، حتى وصلت إلى

هذه المرحلة!

يبدو أنني اليوم لن أقوم بأي شيء سوى التحقيق بما يحدث لي!

الموضوع مربك ويحتاج إلى تحليل...

شاهدت العلبة عن قرب...

كانت زجاجية، وكان الملصق الصغير يحمل اسمي في طرف العلبة...

وضعت العلبة أمامي...

لا يوجد قفل في العلبة...

هي من النوع التي تفتح بإصبع يدك مباشرة...

فتحتها بحذر لأجد المفتاح الأزرق المشع في منتصفها...

هل هو مطلي بطلاء مشع؟

أم هو مصنوع من مادة مشعة؟

هل أذهب به إلى المختبر غدًا لفحصه؟

أخرجت المفتاح من العلبة...

ويبدو أنه كان قرارًا غبيًا آخر...

ففور أن لمست المفتاح...

ودون مقدمات...

شعرت بمغص فوري...

هل المفتاح مطليٌّ بسمٍّ قاتل؟

فجأة سقطت على الأرض فاقدًا الوعي!

---

(1) الأدرينالين: هرمون تفرزه غدة الكظر عند الشعور بالخوف أو الخطر أو الضغط النفسي، مما يساعد على تحسين الوظائف الحيوية للجسم لمواجه الأخطار الخارجية.

12

ظلام وصمت رهيب...

فتحت عيني لأجد نفسي في ممر أبيض خالٍ من كل شيء..

ممر أبيض طويل مع مجموعة من الأبواب في الجوانب اليمنى واليسرى!

أين أنا؟

نهضت بصعوبة، فحتى الآن أشعر ببعض الألم في أنحاء جسدي..

ما أشعر به الآن عكس (ديجافو) تمامًا...

أو ما يطلق عليها الباحثون اسم (جامي فو) (1) التي تشعرك بأن كل ما حولك غريب ولا تعرفه، رغم أن عقلك يخبرك العكس...

هذا مكان غريب ولا أعرفه...

رغم أن عقلي يخبرني العكس!

لا توجد أي نوافذ...

فقط ممر أبيض وأبواب!

تقدمت في الممر على غير هدًى...

لا شيء...

المزيد والمزيد من الأبواب..

وتفرعات أخرى تقودني إلى ممرات بيضاء أخرى!

حاولت فتح أحد الأبواب، كان مقفلًا بإحكام!

وفجأة سمعت شهقة قوية...

شهقة بصوت أنثوي مميز!

إنها (سارة)..

طليقتي!

---

(1) جامي فو: كلمة فرنسية تعني (لم اره من قبل) وهي تعد حالة معاكسة لظاهرة (ديجافو)، حيث يصبح الشخص غير قادر على تذكر شيء مألوف بالنسبة له، إذ يشعر بأنه لم يصادف هذا الموقف من قبل على الرغم من أن عقله الباطن يخبره عكس ذلك!

13

يبدو أن عقلي يمارس ألاعيب ما!

من غير المنطقي ما أشاهده...

قلت بدهشة:

- سارة!

ردت بدهشة مماثلة:

- كيف دخلت إلى هنا؟

سألتها بنفس الحيرة:

- من المفترض أن أسألك أنا هذا السؤال: كيف جئتُ أنا إلى هنا؟

فجأة ظهر مقعد من الفراغ...!

مقعد فخم مذهَّب كلاسيكي...

عقلي ليس على ما يرام!

هل أنا في كابوس؟

تعد الأحلام من الأمور الغريبة، فرغم أن عقلك هو من يقوم بصنع الحلم بالكامل، إلا أنك تتفاجأ بالأحداث التي تحدث

بالحلم!

عقلك يفاجئك بأمور غير متوقعة، رغم أنه هو من يصنعها!

جلست (سارة) على الكرسي، وقالت بتململ:

- أوه.... شخص آخر يعثر على المفتاح للمرة الأولى، ويدخل هنا! أعرف الآن أن لديك الكثير من التساؤلات! لا مانع من الإجابة... ردة فعلك ستكون مسلية... وبالمناسبة أنا لست مَن تظن أنني هي!

- سارة؟

- لا، لست سارة، عقلك يمارس بعض الألعاب معك، أنت تشاهدني بهيئة أقرب شخص في عقلك الآن، يبدو أن (سارة) آخر من فكرت به قبل الدخول هنا!

رفعت حاجبيها ومالت برأسها إلى الأمام، وقالت هامسة بسخرية:

- هل تحبها؟

تجاهلت سؤالها:

- أين أنا؟ وما الذي يحدث؟

اعتدلت في جلستها قبل أن ترد بهدوء:

- في الواقع إن روحك قد خرجت من جسدك...!

شعرت بغصة في حلقي! وشحب وجهي حتى أصبح يضاهي الحائط الأبيض خلفي...

هذه المخبولة تقول إني ميت الآن!

ابتسمت قائلة:

- لا تقلق، أنت لست ميتًا، ولكن روحك قد غادرت جسدك...!

قالتها ونهضت تسير في الممر، وأشارت إليَّ بأن أتبعها...

سرت خلفها قبل أن تتوقف فجأة، لتفتح أحد الأبواب الجانبية...

فُتِح الباب معها بسهولة بالغة، ليظهر بوضوح خلف الباب مكان مرتفع يطل على شقتي..!

كأنني أشاهدها من الأعلى...

الغريب أني وجدت نفسي ملقًى على أرض الغرفة!

أنا أشاهد جثتي بالأسفل من الأعلى!

إنها نوع من مشاهدات (الإسقاط النجمي) الشهيرة...

العديد من مُراجعي عيادتي يتحدثون عن مشاهداتهم لأنفسهم من مكان عالٍ!

ويدَّعون أن أرواحهم قد غادرت أجسادهم!

أو أقرب لتجارب الاقتراب من الموت **(1)!**

لم أتوقع أن أخوض بنفسي تجربة مريعة من هذا النوع!

هل المفتاح يحتوي على مادة مهلوسة وأنا الآن في مرحلة ما وراء الهلوسة؟!

حسب معلوماتي الطبية هناك أدوية كثيرة تسبب الرؤى والهلاوس...

(السيروفلوكساسين)، (الريزربين) وحتى (المورفين) تسبب الكوابيس!

لكني لم أسمع سابقًا بدواء يسبب الهلوسة بمجرد اللمس!

أنا بالتأكيد في حالة من الهلوسة، أو أعيش كابوسًا بكل تفاصيله، ولكن كيف حدث ذلك؟!

أغلقتِ البابَ وقالت:

- في الواقع، أنت الآن تحوم في عالم غير مادي، وهذا الممر الذي تشاهده مع هذه الغرفة هي طريقة نقوم بها لشحذ وترتيب طريقة الانتقال في هذا العالم!

كنت قد قرأت سابقًا عن طريقة الممر هذه، والأبواب كانت

تستعمل فعلًا في شحذ العقل لفحص قدرات العقل غير العلمية، مثل التخاطر وغيرها (2) ولكن للانتقال عبر عالم غير مادي، هذه حالة جديدة!

الإسقاط النجمي بحد ذاته مثير للجدل، فرغم أن هناك العديد من الأشخاص الذين يدعون أنهم مروا بهذه الحالة فإنه لا يوجد أي دليل علمي لهذه الحالة الغريبة!

- هل ما أقوم به له علاقة بالكوابيس والأحلام؟

سألتها بعفوية، فأنا حتى الآن أعتقد أنني واقع تحت تأثير الهلوسة...

قالت بتململ... يبدو أنها تشرح الموضوع لزائرين كثر:

- في الواقع، في حالة النوم تكون النفس البشرية في أعلى حالات التسامي، التنقل عبر الجسد الأثيري يكون أسهل خلال هذه المرحلة؛ لهذا أنت تستطيع الخروج من جسدك المادي خلال هذه المرحلة، والتواصل مع الأشخاص يصبح أسهل عبر هذه المرحلة أيضًا!

كنت أعرف أن البشر لم يعرفوا معنى الأحلام أبدًا... افترض مجموعة من العلماء منهم (فرويد) أنها رغبات تعكس اللاوعي لدى الإنسان..

وافترض (يونغ) أنها رسائل مبهمة من عقل الإنسان الباطن..

ويرجح علماء النفس في بداية القرن العشرين أنها قمامة من الأفكار والهواجس التي حدثت له خلال اليوم، يتخلص العقل منها بشكل يومي!

وافترض القدماء أنها اتصال من آلهة أو أرواح الموتى..

ولكن هذه الفتاة تقول إنها اتصال بين الأحياء!

استطرت الفتاة قائلة:

- لتبسيط الموضوع أكثر، فإنه خلال مرحلة الخروج من الجسد، يمكنك التواصل مع أي شخص في حالته المادية الطبيعية من خلال الأحلام والكوابيس!

- لماذا تتحدثين وكأن الخروج من الجسد من المسلّمات العلمية؟

قالت بدهشة وكأنها استغربت سؤالي هذا:

- الروح تستطيع مغادرة الجسد، ولا داعي أن أذكر لك العديدَ من الأمثلة حول هذا الموضوع... وحسب قدرة الشخص، فإنها تستطيع الابتعاد عن الجسد مسافات طويلة، ولكن ليس الكل قادرين على الوصول إلى هنا! أنت الآن مثال

حي لهذه الحالة!

تذكرت هنا أنني قرأت شيئًا من هذا القبيل، هناك من يدعي أنه استطاع مغادرة جسده والذهاب إلى كواكب أخرى، منهم الكاتب الأمريكي (إنجو سوان) الذي ادعى أنه وصل إلى كوكب (المشتري)، ووصف تجربته بدقة (3)!

استمرت بالحديث قائلة:

- لقد اكتشف الإنسان قدرة الخروج من الجسد منذ زمن بعيد، ولكن ليس كل الناس يمكنهم الخروج من العالم المادي، والدخول إلى العالم اللامادي بسهولة. للوصول إلى هذه المرحلة يحتاج الإنسان إلى تنشيط المنطقة الصنوبرية في المخ (4). هنا اكتشف الأقدمون مفتاح (الحياة)، مفاتيح حجرية تُطلى بمادة مشعة غامضة تنشِّط هذه المنطقة، وتجعله قادرًا على الانتقال إلى المرحلة الروحية الأعلى. أنت الآن في أسمى حالة روحية!

تساءلت بحيرة:

- وأين يمكن العثور على هذه المفاتيح؟

- لا أحد يعرف مصدرها الحقيقي، ولكنَّ الأقدمين عثروا عليها واحتفظوا بها سرًّا يتناقلونه... وضعت بعض أسرارها

في مكتبة (مونسرات) (5) الشهيرة، والبعض الآخر تناقله (الروزيكروشيه) (6) والبعض الآخر اعتبره سحرًا وشعوذة!

- أصبح الموضوع أشبه بالأخوية السرية!

- بالضبط! ولكن من دون دعوى حقيقية، إن من يكتشف السر يصبح عضوًا في هذه الأخوية!

لو كان ما تقوله هذه الفتاة صحيحًا، إذن فالشخص الذي جاء إلى العيادة اليوم حاول تحذيري من هؤلاء الأشخاص الذين يستطيعون مغادرة أجسادهم، والدخول في اتصال مع الناس عبر كوابيسهم وأحلامهم!

إذن، ما علاقة الذي سرق محفظتي وسرقت منه أنا المفتاح؟

هل هو أحد هؤلاء الأشخاص؟

ولكن، لماذا يحاول سرقتي؟

لست أعرف لماذا أستمر في حواري معها!

أنا متأكد أنني في كابوس أو هلوسة بصرية، ولكني سألتها:

- لماذا يحاول شخص سرقتي في الحلم؟

قالت باستنكار شديد وسخرية:

- يسرقك؟ طبعًا لا... لا أحد يستطيع سرقتك في العالم غير المادي بشكل مادي، إن ما يسرقه منك هو أمر آخر فسَّره عقلك على أنه أمر مادي، هناك أشخاص يستهدفون أشخاصًا آخرين في أحلامهم، إما للوصول إلى معلومات أو لأسباب أخرى، قد يسرق منك مثلًا الرقم السري للبنك لسرقة حسابك فيما بعد، ولكنه لن يسرق حسابك في الحلم بشكل مباشر!

ارتجفت باشمئزاز مع الجملة الأخيرة قائلة:

- لا أتصور أن هناك أناسًا يصلون إلى هذه المرحلة من الخساسة؛ يستغلون هبةً جميلة مثل هذه في أمور بشعة!

كلامها يعني أن من أشاهده بشكل مستمر في كوابيسي هو شخص يستهدفني لسبب آخر لا أعرفه...

وأن المحفظة مجرد رمز لأمر آخر سبق وسرقه مني...

قد يرغب بالحصول على بحثي العلمي غير المكتمل؟

أو يريد الوصول إلى معلومات معينة تساعده في سرقتي؟

ولكن ماذا عن محفظتي التي اختفت؟

والزر الذي تم نزعه من قميصي؟

لماذا من زارني بالعيادة كان يحذرني؟

هناك قطعة مفقودة من هذا اللغز...

نظرت الفتاة إلى ساعتها...

إنها ترتدي ساعة فعلًا...!

وقالت:

- حسنًا! أعتقد أن وقتك سينتهي قريبًا، مفعول المادة المشعة لا يدوم إلى الأبد، الآثار الانسحابية ستكون مزعجة بعض الشيء للحالة الأولى، ولكنك ستتعود عليها مستقبلًا إن قررت زيارتنا من جديد، هيا لا تتأخر على مواعيد عيادتك!

من أخبرها أنني أمتلك عيادة؟

هل تراقبني؟

أطلقت ضحكة رقيعة لا تتناسب مع الموقف، قبل أن تقول وكأنها قرأت أفكاري:

- أنت تمزح أليس كذلك؟ أنت في عالم من الأحلام، وأنا الحلم ذاته! يمكنني أن أعرف ما أريد!

قالتها، وفجأة انطلق صوت الرصاصة إياها!

شعرت بها تخترق رأسي بعنف أكثر هذه المرة، و...

وأظلم المكان فجأة...

(1) تجربة الاقتراب من الموت NDE: ظاهرة غريبة يدعي من خلالها العديد من الناس الذين يقتربون من الموت انهم شاهدوا أجسادهم من الأعلى أو مشاهدة نفق أبيض، لا يوجد تفسير علمي واضح للظاهرة.

(2) حقيقة

(3) إنجو سوان: كاتب أمريكي ادعى في أكثر من مناسبة انه استطاع زيارة كوكب المشتري من خلال الأسقاط النجمي، و وصف مشاهدته بالتفصيل لهذا الكوكب الغامض، تعرض الكاتب لموجة كبيرة من التجارب التي أضافت المزيد من الغموض على حالته، رغم أن الكثير يعتبرونه مراوغ من الدرجة الأولى إلا انه أثار جدل كبير في الأوساط العلمية و العامة، تحدثنا بشيء من التفصيل عن حالته في كتاب (ليلة العجائب 3)

(4) الغدة الصنوبرية: غدة صغيرة في الدماغ، لا يعرف العلماء السبب الحقيقي لوجودها مما جعل العديد يربط وجودها بمركز الروح البشرية، ورغم التطور العلمي المذهل فإنها حتى اليوم موضع أبحاث.

(5) مكتبة (مونسرات): مكتبة تقع على قمة جبل (مونسرات) في إسبانيا تابعة لدير الرهبنة (البندكتية)، يشاع أنها تحتوي على نصوص نادره جدا غير متاحة سوى للرهبان.

(6) الروزيكروشيه: طائفة دينية سرية، تشكلت في القرن السادس عشر وبدأت على يد أطباء اعتزلوا الناس وبدأوا في ممارسة السحر لاعتقادهم أنه السبيل الوحيد في خلاص البشرية ويروق لعشاق قصص (نظرية المؤامرة) إقحامهم في العديد من نظريات السيطرة العالم ..

14

وجدت نفسي في غرفتي مرة أخرى!

على مقعدي في صالة الاستقبال!

الصداع مستمر...

هل كل ما مررت به مجرد كوابيس متداخلة؟

الحالة الشهيرة كابوس داخل كابوس، صورة مشابهة لتأثير (دروست) Droste effect المخيف (1) ربما أنا لم أعد إلى الواقع طوال اليوم!

ربما كنت طوال اليوم في كوابيس متتالية!

هذا هو التفسير الأكثر منطقية!

نهضت بصعوبة، كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساءً!

الأمطار لا زالت تنهمر!

كنت نائمًا طوال هذا الوقت؟

وقفت عند النافذة، البرق والأمطار تعزف أغنيتها في المكان...

فتحت درج المكتب لأجد محفظتي هنا...

تأكدت من قميصي، الزر موجود!

إذن ما حدث فعلًا كان مجرد كوابيس!

كوابيس غريبة، اختلطت فيها الحقيقة بالخيال!

كوابيس بدت لي حقيقية جدًّا...

الأحلام عالم متكامل من الرموز التي يجب تفسيرها، أعتقد أنني سأمضي حياتي الباقية في دراسة سلسلة الكوابيس التي رأيتها اليوم...

قد أحتاج إلى مساعدة Oneirologist(2) مختص!

وأعتقد أن هناك خللًا يجب أن أعالجه، فهذه الليلة من الكوابيس لا تُنسى!

هنا شعرت أنني بحاجة إلى الخروج...

لن أُمضيَ اليوم كله وأنا في شقتي، يكفي أنني لم أذهب إلى العيادة اليوم...

أخذت محفظتي وخرجت سريعًا من الغرفة، ولم أنتبه أن هناك بجانب محفظتي كانت تقبع علبة زجاجية صغيرة...

علبة تحتوي على مفتاح أزرق مشع!

---

(1) Droste effect: تقنية فنيه تجعل الصورة تظهر داخل نفسها بشكل متكرر ومخيف، من الناحية النظرية يمكن لهذا أن يستمر إلى مالا نهاية؛ أما عمليا فإنه يستمر فقط طالما أن دقة الصورة واضحة.

(2) Oneirologist: الشخص المتخصص في علم الأحلام والذي يبحث في الارتباط بين الحلم والمعرفة الحالية حول وظائف الدماغ.

هـ. ب. لوفكرافت

إفادة (راندولف كارتر)...

ترجمة: حسام أبو سريس

أشرف على الترجمة: د. سند راشد



هـ.ب.لافكرافت:

إن كنت مهتمًّا بأدب الرعب فستكون بالتأكيد سمعت عن هذا الاسم المخيف...

H. P. Lovecraft

واحد من أهم كُتّاب الرعب، وأحد رواد الأدب الغرائبي، اشتهر بتقديم رعب كابوسي مخيف من خلال قصصه التي كانت تُنشر في مجلة Weird Tales تحديدًا..

يعد (هـ.ب.لافكرافت) مدرسة لا مثيل لها في أدب الرعب، كما يعتبره الكثير أهم كاتب رعب في القرن العشرين.

وُلد عام 1890 في (بروفيدنس)، كان مولعًا بالقراءة، وأحب جدًّا كتاب (ألف ليلة ليلة)؛ الذي تأثر به بشكل واضح كما هو واضح من قصصه...

كان شخصية غريبة منعزلة لا أصدقاء له، وقد برزت موهبته في الكتابة حين قرّر خلال مراهقته أن يُصدر بنفسه مجلة متخصصة في علم الفلك!

نلتقي هنا مع قصته المخيفة (إفادة راندولف كارتر The Statement of Randolph Carter)؛ والتي نُشرت عام 1920 في مجلة The Vagrant، ونُشرت مرة أخرى عام 1925 في مجلة Weird Tales قبل أن يتم تحويلها إلى عدد من المسلسلات والأفلام السينمائية...

القصة تناقش قضية الأبحاث المحرمة، وحدود معرفة

الإنسان.

لن نطيل عليكم أكثر، اقلبوا الصفحات، واستمتعوا بأجواء (هـ.ب.لافكرافت) المخيفة!

"أكرر لكم يا سادة، لا جدوى من هذا التحقيق الذي تقومون به، احتجزوني هنا إلى الأبد إن أردتم؛ اسجنوني أو أعدموني إن كان يجب أن تكون لديكم ضحية؛ لإرضاء هذا الوهم الذي تسمونه العدالة!

ولكنني لن أقول أكثر مما قلت لكم!

لقد قلت كل ما يمكنني تذكّره بصراحة تامة!

لم أحرّف ولم أُخْفِ شيئًا، وإن بقي أيّ شيء غامضًا، فهذا بسبب الغيمة السوداء التي أغشت ذهني - تلك الغيمة والطبيعة الغامضة للأهوال التي جلبتها لي!

مرة أخرى أقول لكم: أنا لا أعلم ما الذي حل بـ (هارلي وارن)، مع أنني أظن - بل تقريبًا أتمنى - أن يكون في حالة من الغفلة والسكينة، ونال المغفرة عما فعل...!

إن كان كذلك فهو محظوظ...

صحيح أنني كنت الصديق الأقرب إليه طوال خمس سنوات، وأنني شاركته بشكل جزئي في أبحاثه المريعة حول

المجهول.

على الرغم من أن ذاكرتي ضعيفة، لن أنكر أن شاهدكم قد رآنا معًا على جبل (غينزفيل)، ونحن نسير نحو مستنقع (السرو) الكبير، عند الساعة الحادية عشرة والنصف في تلك الليلة الفظيعة.

وأننا كنا نحمل مصابيح كهربائية، وأسلاكًا ملفوفة بإتقان ومتصلة بأجهزة ما...

لأن كل هذه الأشياء لعبت دورًا في المشهد الشنيع الوحيد المحفور في ذاكرتي المصدومة!

ولكن فيما يخص ما حصل بعد ذلك، وسبب وجودي وحيدًا ومصدومًا على حافة المستنقع في الصباح التالي، فيجب أن أصرّ على أنني لا أعرف شيئًا سوى ما قد أخبرتكم به مرارًا وتكرارًا.

أنتم تقولون: إنه لا يوجد في المستنقع أو بالقرب منه ما يمكن أن يشكّل مسرحًا لتلك الحادثة المخيفة،

وأنا أرد على ذلك بأنني لا أعرف أكثر مما رأيت!

سواء كان ذلك رؤيةً أو كابوسًا، أتمنى بشدة أن يكون كذلك - هذا كل ما تمكن عقلي من استرجاعه عما حدث في تلك

الساعات الصادمة بعد أن اختفينا عن مرأى الناس!

وأما بخصوص عدم عودة (هارلي وارن)، فقط هو أو ظله - أو ذلك الشيء المجهول الذي لا يمكنني وصفه - فيمكن أن يُعرف السبب.

كما قلت سابقًا، كنت أعرف جيدًا الدراسات الغريبة التي كان يقوم بها (هارلي وارن)، ولقد كنت مشتركًا بها إلى حدّ ما.

من بين مجموعته الضخمة من الكتب الغريبة والنادرة التي تتحدث عن مواضيع محرّمة، قرأت الكتب المكتوبة باللغات التي أتقنها؛ ولكن عددها كان قليلًا مقارنة بعدد الكتب المكتوبة بلغات لا أستطيع فهمها.

أغلبها، على ما أعتقد كان باللغة العربية، وكان هناك كتاب شيطاني يحمله في جيبه طوال الوقت مكتوبًا بحروف لم أرَ لها مثيلًا في أي مكان آخر!

لم يخبرني (وارن) أبدًا عما يحتويه هذا الكتاب!

أما بخصوص طبيعة الدراسات التي كنا نقوم بها؛ فهل عليّ أن أقول مرة أخرى: إنه لم يعد لديّ الفهم الكامل لها؟

يبدو لي ذلك رحمة؛ لأنها كانت دراسات فظيعة، والتي كنت

أقوم بها بسبب افتتاني بها على مضض، وليس بسبب ميل حقيقي نحوها!

كان (وارن) مهيمنًا عليّ دائمًا، وكنت أخافه أحيانًا...

أذكر كيف ارتعدت خوفًا من تعابير وجهه في الليلة التي سبقت تلك الحادثة المروعة، عندما تحدث بلا توقف عن نظريته المخيفة عن سبب عدم تحلل بعض الجثث، بل إنها تبقى في قبورها صلبة ومحتفظة بدهونها لألف سنة!

ولكنني لا أخاف منه الآن، لأنني أظن أنه قد عاش أهوالاً تفوق تصوراتي...

أنا الآن قلِق عليه، وأتمنى أن يكون بخير...

مرة أخرى أكرر: ليس لديّ فكرة واضحة عن هدفنا في تلك الليلة.

بالتأكيد كان له علاقة وثيقة بالكتاب الغريب الذي كان (وارن) يحمله معه...

ذلك الكتاب العتيق المكتوب بحروف لا يمكن قراءتها، والذي جاء من الهند قبلها بشهر...

يقول شاهدكم: إنه رآنا عند الحادية عشرة والنصف على جبل (غينزفيل)، متوجهين نحو مستنقع (السرو) الكبير.

ربما يكون هذا صحيحًا، ولكن أعتقد أن الساعة حينها قد تجاوزت منتصف الليل بكثير؛ لأن الهلال كان خافتًا عاليًا وسط السماء الضبابية...

كان المكان عبارة عن مقبرة قديمة؛ كانت قديمة لدرجة أنني ارتعدت خوفًا من شواهد القبور العتيقة ...

كانت تقع في تجويف عميق ورطب، كانت مغطاة بالعشب الطويل، والطحالب، والأعشاب الزاحفة الغريبة، وكانت تملأها رائحة كريهة وغريبة، والتي ربطها خيالي الخامل بحجر متعفّن.

كانت علامات الإهمال والتداعي في كل ناحية من المقبرة، ويبدو أنه كانت تشغل بالي فكرة أنني أنا و(وارن) أول كائنين حيين يغزوان هذا الصمت القاتل منذ قرون.

كنا نشتم رائحة أبخرة كريهة الرائحة، والتي كان يبدو أنها تنبعث من سراديب الموتى، وعلى ضوء الهلال الباهت تبينت مجموعة بغيضة من الألواح العتيقة، والجرار التي يحفظ بها رماد الموتى (1)، والنُّصب، وواجهات الضريح؛ كانت جميعها متهالكة، ومغطاة بالطحالب، وملطخة بالرطوبة، وكانت مخفية جزئيًا بالنباتات، والتي كانت كثيفة بشكل واضح.

كان أول انطباع قوي لي عن وجودي في هذه المقبرة

الفظيعة يتعلّق بالتوقّف مع (وارن) أمام قبر معيّن نصف مطموس، وإلقاء بعض الأحمال التي يبدو أننا كنا نحملها على الأرض.

هنا لاحظت أنني أحمل مصباحًا كهربائيًّا ومجرفتين، بينما كان رفيقي مزودًا بمصباح مماثل وآلة هاتف متنقل (2)...

لم ينطق أيٌّ منّا بأيّ كلمة؛ لأننا نعرف مهمتنا، ومن دون أي تأخير، أمسكنا بمجرفتينا، وبدأنا بإزالة العشب والأعشاب الضارة، وأزحنا التراب من على المدفن المسطّح القديم..

بعد انتهاء المهمة تراجعنا إلى الوراء؛ لنرى المشهد، وكان يبدو على (وارن) أنه يقوم ببعض الحسابات الذهنية.

ثم عاد إلى القبر، واستخدم مجرفته كعتلة، ساعيًا إلى رفع اللوح الأقرب إلى البقايا الحجرية، والتي ربما كانت نُصبًا في أيامها.

لم ينجح في ذلك، وطلب مني أن آتي لمساعدته، وأخيرًا أفلحت جهودنا في رفع اللوح...

وقلبناه على أحد أطرافه....

كشفت إزالة اللوح عن فتحة سوداء، والتي انبعث منها رائحة بشعة جعلتنا نتراجع إلى الخلف...

ولكن بعد فترة، اقتربنا مجددًا من الحفرة، ووجدنا الانبعاثات قد أصبحت أقل شدّة...

كشفت مصابيحنا عن بداية مجموعة من الدرجات الحجرية، والتي تتقاطر منها سوائل كريهة من الطبقة الداخلية للأرض، وكانت تحدّها جدران رطبة مغطاة بـ(النترات)....

والآن، ولأول مرة، أتذكر محادثة (وارن) الذي قال لي بصوته الغليظ:

- أعتذر لأنه عليّ أن أطلب منك البقاء في الأعلى؛ فالسماح لأي شخص لديه مثل أعصابك الضعيفة بالنزول إلى هناك سيكون جريمة، لا يمكنك أن تتخيل، حتى مما قرأت ومما أخبرتك به، الأشياء التي عليّ أن أراها وأفعلها... إنه عمل شيطاني يا (كارتر)، وأنا أشك أن أيّ رجل ليس لديه أعصاب حديدية سيتمكن من النزول والعودة وهو حي وبكامل قواه العقلية. أنا لا أرغب بالإساءة إليك، ويعلم الله أني سأكون سعيدًا جدًّا لوجودك معي، ولكنَّ المسؤولية نوعًا ما هي مسؤوليتي أنا، وأنا لا يمكنني أن أجرّ معي رجلًا شديد التوتر مثلك إلى موت أو جنون محتمليْن. أقول لك: لا يمكنك أن تتخيل كيف سيكون الأمر! ولكنني أعدك بأنني سأبقيك على اطلاع بكل حركة عن طريق الهاتف، كما ترى لدي سلك هنا

بطول كافٍ ليقطع المسافة إلى مركز الأرض ذهابًا وإيابًا!

ما زلت أسمع، في ذاكرتي تلك الكلمات التي قيلت بهدوء؛ ولا زلت أذكر احتجاجي...

كنت متلهفًا بشدة لمرافقة صديقي إلى تلك الأعماق في القبر، ولكنه كان صارمًا بعناد....

ذات مرة، هدّد بالتخلي عن الرحلة إن بقيتُ مُصِرًّا؛ تهديد اتضح أنه فعّال، كونه وحده من يملك مفتاح ذلك "الشيء".

أذكر هذا كله، مع أنني لا أتذكر ما الذي كنا نبحث عنه من خلال هذه التجربة المخيفة!

التقط (وارن) بكرة الأسلاك، وقام بتعديل الأجهزة قبل أن يناولني سماعة الهاتف وأخذ الثانية، وجلست على شاهد القبر القديم الذي تغيَّر لونه بالقرب من الفتحة التي تم الكشف عنها للتو....

قام بمصافحة يدي، وحمل لفّة من الأسلاك على كتفه، واختفى بعدما دخل في القبر الذي لا يمكن وصفه...

ظللت أنظر إلى وهج مصباحه لمدة دقيقة، وسمعت صوت خشخشة الأسلاك وهو يلقيها خلفه؛ ولكن سرعان ما اختفى الوهج فجأة، وكأنه صادف منعطفًا في الدرجات الحجرية،

ثم تلاشى الصوت بنفس السرعة تقريبًا. كنت لوحدي وأصغي بلهفة للأصوات القادمة من السماعة....

في الصمت المنعزل لمقبرة الأموات القديمة والمهجورة تلك، أخذ عقلي يتخيل الخيالات والأوهام المخيفة؛ وبدت لي الأضرحة والنُّصُب وكأنها تتخذ شخصية شنيعة...

بدت الظلال التي لا شكل لها وكأنها مندسة في البُقَع المعزولة الأكثر عتمة في التجويف المليء بالأعشاب، وبدت وكأنها تتحرك بخفّة، وكأنها في موكب تجديف احتفالي، وهي تمر عبر بوابات القبور التي يغطيها العفن جانب التل؛ ظلالٌ لا يمكن أن يكون قد ألقاها هذا الهلال الباهت...

كنت أتفقد ساعتي باستمرار تحت ضوء المصباح الكهربائي، وأنصت بقلق محموم إلى سماعة الهاتف؛ ولكنني لم أسمع أي شيء لأكثر من ربع ساعة...

ثم سمعت صوت طقطقة خافتة صادره من الجهاز، وناديت على صديقي بصوت متوتر. مع أنني كنت متخوفًا، إلا أنني لم أكن مستعدًّا للكلمات التي جاءت من هذا المدفن الغامض بنبرات كانت أكثر فزعًا وارتعاشًا من أيّ نبرات أخرى كنت قد سمعتها سابقًا من (وارن)...

هذا الذي تركني بكل هدوء قبل برهة من الزمن، أصبح

يناديني الآن من الأسفل بهمسة مرتعدة أكثر شؤمًا من أعلى صرخة:

- يا إلهي! لو أنك ترى ما أراه!

لم أستطع الإجابة...

لم أستطع الكلام، لم يكن في وسعي سوى الانتظار....

ثم عادت النبرات المهتاجة مرة أخرى:

-(كارتر)، إنه لأمر فظيع مفزع لا يُصدق!

هذه المرة لم يخذلني صوتي، وصببت في سماعة الهاتف سيلًا من الأسئلة المليئة بالحماس... كنت مرتعبًا، واستمريت بتكرار:

-(وارن)، ما الأمر؟ ما الأمر؟

مرة أخرى جاء صوت صديقي، كان لا يزال أجشّ من الخوف، والآن يبدو أنه قد شابه اليأس:

-لا يمكنني أن أخبرك يا (كارتر)! إنه يتخطى تمامًا حدود الفكر، لا يمكن لأي رجل أن يعرفه ثم يبقى على قيد الحياة. يا إلهي العظيم! لم أحلم أبدًا بهذا!

ثم عاد السكون مرة أخرى...

ثم جاء صوت (وارن) بنبرة رعب وارتباك:

-(كارتر)! حبًّا في الله، أعد اللوح إلى مكانه، واخرج من هنا إن استطعت! أسرع! اترك كل شيء آخر، واتجه إلى الخارج. إنها فرصتك الوحيدة! افعل كما أقول، ولا تطلب مني أن أشرح!

لقد سمعته، ولكن لم يكن في وسعي إلا تكرار أسئلتي الملهوفة....

كانت تحيط بي القبور وظلام الظلال؛ وأسفل مني كان هناك خطر ما يتجاوز حدود خيال البشر....

ولكن صديقي كان في خطر أكبر من الخطر الذي أنا فيه، ووسط خوفي، أحسست باستياء مبهم؛ لأنه اعتبرني قادرًا على هَجْره في مثل هذه الظروف....

المزيد من الطقطقة، وبعد وقفة، صدرت صرخة شفوقة من (وارن):

- انصرفْ! حبًّا في الله، أعدِ اللوح إلى مكانه، وانصرف يا (كارتر)!

شيء ما في اللهجة السوقية والصبيانية التي تحدث بها صديقي المكروب بشكل واضح أطلق العنان لقدراتي...

اتخذت قرارًا وقلته بصوتٍ عالٍ:

-(وارن)، جهِّز نفسك، أنا قادم إلى الأسفل!

ولكن نبرة صوت من كان يسمعني تبدّلت أمام هذا الاقتراح إلى صرخة يأس مطلق:

-لا تفعل! لا يمكنك أن تفهم! لقد فات الأوان - وهذا خطأي أنا. أعد اللوح إلى مكانه واركض - لا شيء آخر يمكنك أنت أو أي أحد آخر أن يفعله الآن!

تغيرت النبرة مرة أخرى، هذه المرة اكتسبت صفة أكثر ليونة، مثل استسلام مليء باليأس، ولكنها بالنسبة لي بقيت مليئة بالتوتر من القلق.

- أسرع - قبل فوات الأوان!

حاولت ألا أصغي له؛ حاولت أن أتحرر من الشلل الذي كان يقيّدني، وأن أفي بالعهد الذي قطعته بأن أسرع لمساعدته، لكن عندما سمعت همسته التالية كنت لا أزال عاجزًا ومقيدًا بسلاسل الذعر الشديد:

-(كارتر) - أسرع! لا فائدة من ذلك - عليك أن ترحل، واحد أفضل من اثنين، أعدِ اللوح.

كانت هناك وقفة، ثم المزيد من الطقطقة، ثم جاء صوت

(وارن) الخافت:

- الأمر على وشك أن ينتهي - لا تجعل الأمر أصعب - قم بتغطية هذه الدرجات اللعينة، واركض لتنجو بحياتك - إنك تخسر الوقت - وداعًا يا (كارتر) - لن أراك مرة أخرى!

وهنا تضخمت همسة (وارن) لتصبح صرخة؛ صرخة ارتفعت تدريجيًا لتصبح صيحة مشحونة برعب كل العصور، وهو يقول:

- اللعنة على هذه الأشياء الجهنمية، هناك ألوف منها، يا إلهي! انصرف! انصرف! انصرف!

بعدها ساد الصمت....

لا أدري كم عدد الدهور اللامتناهية التي جلست فيها مذهولًا وأنا أهمس، وأتمتم، وأنادي، وأصرخ في سماعة ذلك الهاتف... مرارًا وتكرارًا، كنت أهمس، وأتمتم، وأنادي، وأصرخ، وأصيح:

-(وارن)! (وارن)! أجبني هل أنت هناك؟

وهنا سمعت ذلك الشيء الذي لفَّ هذه السحابة على ذهني..

أنا لا أستطيع أن أصف هذا الصوت بالتفصيل، ولا يمكنني

أن أجرؤ على وصفه؛ حيث إن الكلمات الأولى قد أخذت مني وعيي، وصنعت فراغًا ذهنيًا يمتد إلى وقت استيقاظي في المستشفى....

هل أقول: إن الصوت كان عميقًا؛ أجوف؛ دبقًا؛ بعيدًا؛ خارقًا للطبيعة؛ غير بشريّ؛ صوت كائن بلا جسد؟

ماذا عليّ أن أقول؟!

كانت تلك نهاية تجربتي، ونهاية قصتي.

لقد سمعته، ولا أعرف سوى هذا...

سمعته وأنا جالس ومتحجر من الخوف في تلك المقبرة وسط الحجارة المتهالكة والقبور المتداعية، والنباتات الكثيفة والأبخرة ذات الرائحة العفنة...

سمعته من أعمق أعماق الضريح...

وهذا ما قاله لي:

- أيها الغبي!، إن (وارن) قد مات!

---

(1) الجرار الجنائزية: هي جرار يتم الاحتفاظ برماد الشخص المتوفي بعد حرقة، وتعد هذه الطقوس موروثات قديمة، ولكنها مستخدمة حتى

يومنا هذا لدى العديد من الطوائف الدينية.

(2) يقصد الكاتب هنا سماعة الهاتف الكلاسيكي التقليدي، تذكر أن هذه القصة كتبت عام 1919 ولم تكن هناك هواتف محمولة.